حديقة خطب

وهي

مجموعة خطب القيت في البرازيل

لصاحبتها

سلوى سلامه اطلس

ثمنه ٢٠٠ غرش عملة برازيلية

سان باولو — برازيل

مطلع عام ١٩٢٨

اقدم كتابي!

الى :

الى نصراء القلم، الى محبي الآداب العالية، الى هيئاتنا الراقية، الى من يقدس شرائع العائلة، الى كل باحث وساع في وراء اصلاح اخلاقنا وعاداتنا!

والى كل من يهوى «الحدائق الفوّاحة» اقدم كتابي هذا .....

ذكرى لقلب اخلص في «العاطفة»، وقلم نقش «الحقائق والرسوم» وصوت اخذ من «الضعف قوة» ليقدّم خدمة نصوحة لابناء اللغة والقوم والدار

ولقد وضعت موءلفي بعد انجاز طبعه بين يدي استاذ علامة ولغوي مدقق وخطيب كبير ليتكرم بكتابة المقدمة فيذكر السيء والحسن عاماً مني بصراحة الاستاذ المعهودة وابتغاء الفائدة لا كما اصطلح السوى على كتابة مقدمة محشوّة بالمديح والتقريظ . فجاءت المقدمة كما ترى وفيها ما فيها من الفوائد ليس للموءلفة فقط بل وللقارىء الكريم

فعسى يذكرني المطالع بالخير كما ارجو وذلك حسبي

سلوى

مقدمة الكتاب

جرت عادة موءلفي هذا العصر ان يدفع الواحد منهم كتابه الى صديق له كي يكتب المقدّمة اي انه يطلب الى صديقه ان يمدح الكتاب والذي كتبه متيقناً ان اكثر القراء يوءخذون بعبارات المديح فيعظم في عيونهم فيصدع الصديق في الامر ويكتب المقدّمة مادحاً بل مطنباً في المدح الى درجة الكذب · ويغلب على هوءلاء المدّاحين ان لا يقرأوا شيئاً من الكتاب الممدوح، فان كان الموءلّف جديراً بالثناء جاءت الرمية من غير رامٍ وان لم يكن جاءت الكذبة من يدٍ لا تجر الا قلمَ الكذب · واكاد لا استثني احداً من كاتبي المقدّمات أفي فاتحة كتاب كانت أم في استهلال مقالة في مجلة

تأمل ايها القارئ في البون الشاسع بين كتّاب هذا العصر المغرورين لشدة انتفاخهم والذين تقدمونا من ارباب النهضة الادبية الحقيقية · فهوءلاء رحمهم الله كان الواحد منهم يكتب المقدمة بقلمه معتذراً عن تقصيره وراجياً من القارئ اسدال ستار الصفح على ما يكتشف من الهفوات

في ذلك العصر كانت تنشر الاناشيد الجميلة تصحبها الوداعة واليوم ينشرون طقاطيقهم على خصفة الكبرياء

١

اما السيدة سلوى سلامه اطلس فلم تسلك في مشورة المتعصرين وان هي لم تسر في طريق الغابرين لانها دفعت كتابها الى غير مدّاح يقرأ كل كلمة منه ويجهر بنفوره اذا عثر فيه على ما لا يروق له

لا اقول هذا مفاخراً بل معترفاً بعيب لا وسيلة لديّ للتخلص منه ، هو عيب « الاعور اعور بعينه » . قال لي من ايام قليلة احد اصدقائي المخلصين : « ان عيبك الكبير تصريحك بعدم رضاك في وجه الانسان » . فاجبته مقرًّا بصحة رأيه « هي عادة في البدن لا يزيلها الا الكفن »

السيدة سلوى دارية بهذا العيب ومع هذا طلبت اليّ ان اكتب المقدمة . فيا له من اشفاء على خطر . هي تعرف انني لا اوافقها على التنهيدات مكان التنهدات ولا على مسرح مكان مرسح اذا كان للتمثيل

هي تعرف انني لا امدح الذي يكثر من الاقحام في كتابته ، او يجمع بين استعارتين لا تتفقان كقولها : « رحى الكون تدور فترفع الستار » او يستعمل التعبير الافرنجي الذي يقدم اسم المفعول ويجر الفاعل كقولها : « في ساعات معينة من الطبيب » بدلاً من في « ساعات عيّنها الطبيب » او من يسمّي كرسي القاضي عرشاً ، او يقول : « مقدري الفنون الجميلة » بدلاً من « قادري » او يستعمل « ابن بجدته » مكان « ابن جلدتـه » او يكتب « بالرغم من حداثة سنه » بدلاً من « على حداثة سنه »

هي تدري بانني اندد بالذي يقول : « لترويح النفس وابدال الضجر بالايناس » مكان « وابدال الانس بالضجر » . او يقول « مناولة العشاء »

مكان « تناول » اذا لم يتكلم عن الخـادم ، او يقول « المشاد » بدلاً من « المشيَّد » ، او يقول « والابتسامة لا تشترى بالفضة واللجين » والفضة واللجين اسمان لمسمى واحد ، او يقول بلسان المرأة : « انا مرآتك الصقيلة جئتك لا كون حجر الزاويـة » ، او يستعمل نفي الوجوب مكان ايجاب النفي ، او من لا يكترث لطريقـة تنقيط كتابته او من يجعل الجزء من جملته فقرة مستقلة

السيدة سلوى تعرف انني اعارضها أشد المعارضة في تحاملهـا على الرجل السوري والمرأة السورية اذ قابلتهما بالافرنج وفي تحاملها على الرجل السوري اذا قابلته بالمرأة

ففي خطاب « المرأة السورية » مثلاً اختارت اتعس المشاهد السورية وقابلته باسعدها عند الافرنج . هذا خطأ . فالسورية افضل من الاجنبية . قد رأيت ، في دُور ارقاهم ، المتعلمة تتحـكم في رقبة زوجها . فمتعلمتنا افضل من متعلمتهم ، وفلاحتنا احسن من فلاحتهـم ، ومتبرجتنا قذرة الظاهر فقط ومتبرجتهم قذرة الظاهر والباطن معاً

وهي تعلم ايضاً انني لا احب مبالغاتها عندما تقول بدون قيد او استثناء وما قصدها الا الانحاء على الرجل باللائمة ، « ان المرأة هي شفقة الله ، هي الضامدة ، هي الماسحة ، هي المبرِّدة » مع انها تكون احيانـاً محنة الله ، وتكون الجارحة والمحرية والمشعلة

اجل انني احتجُّ على السيدة سلوى متى قالت « ان العائلة السورية متضعضعة لا نظام فيها ولا شكل . فاما الرجـل السليط المستبد ، واما

الامرأه المتغلبة الخارجة عن الطور الانثوي

وكذلك لا اجاريها في قولها ان الرسل اتخذوا خطة معلمهم واخذوا في التبشير بواسطة الامثال والحكايات لان الواقع هو العكس ودليلنا رسائلهم اللاهوتية العويصة

هذه امثلة من اعتراضاتي على ما في الكتاب واذا كانت المؤلفة تعرف انني لا اساحن فلماذا اصدرت الي امرها بان اكتب المقدمة؟

ذلك لانها واثقة كل الثقة من بروز الفوائد الجليلة من سطور الكتاب ولانها متأكدة ان الذي يعترض على ما لا يستحسنه يصرح بما يستفيد منه . فما هي حسنات الكتاب؟

ايها القارىء اذا جاءك «القروي» باجمل قصيدة يصف فيها منظر الوردة وجاءك فرحات باطيب منظومة تصف شذا الوردة وجئتك انا بالوردة ذاتها وقلت لك : «خذ، تأمل وتنشق» فمن منا يكون قد وفى الوردة حقها افضل توفية؟

اذاً خذ الورود الآتية المجتناة من حديقة الكتاب : تأملها وتنشقها وانس الاعشاب والاشواك التي لا تخلو حديقة منها

« الانسان في هذه الحياة مسافر يقطع المسافات البعيدة ويخوض بحار الصعاب .... وكثيراً ما يحسن الوجهة ولا يحسن السبيل على أنه لو احسن السبيل لبلغ الى الوجهة الفضلى

....

فالانسان لم يخلق ليلتجىء الى بناء غيره والنفس الكريمة تأبى المبيت

تحت سقف رفعه الآخرون والشريف يستنكف من اكل رغيف عجن بعرق جبين السوى

....

يقولون أن الحكومة تبني السجون وانا بعد هذا البحث ارى ان الامهات المتساهلات هنَّ اللواتي يشيدن اركانها

.....

﴿ الام ﴾

وتشفق عليه من مصاب اليوم غير حاسبة ان هذا الاشفاق نفسه لا يشفق عليها في الغد

......

يقول البعض ان الزوجين يجب ان يتفاهما قبل زواجهما فلهؤلاء اقول : ان هذا لمن الامور الصعبة لان كلاً منهما يظهر في ايام الخطبة بمظهر وقتي جميل لا علاقـة له بحقيقة حاله وتكون العين غامضةً عن كل سيئة فلا يمكن التفاهم والطور وقتئذٍ طور خيال لا طور حقيقة

....

لان المرأة بتساهلها تقود زوجها الى الشر كما انها بضغطها الشديد تضعف قوة حنينه اليها وتعلقه بها

....

اذكر القوم بسارق هو اعظم جرماً من سواه ذلك الذي يقدر ان يساعد ملجأ ليتيم ليسقيه كأس ماء بارد ولا يفعل . فهذا قد سرق

المسكين الصغير رغيفاً ليضيفه الى مائدته المثقلة بالالوان

. . . .

ما الفائدة من اجسام قوية تطوي الحديد وتهدم الجدران وهي تضم ارواحاً ضعيفة لا مقدرة لها على كسر خصام او نسيان اساءة ؟

ما الفائدة من الجيوب الملآنة من الاصفر الرنان وهي تستر قلوباً فارغة من الاشفاق والحنان ؟

ما الفائدة من الوجوه المشرقة والابتسامات الخالبة وهي تخفي وراءها ادمغة نائمة خاملة ؟

. . . .

قد يكون الاحسان باعثاً على انعاش النفس ولكنه ان لم يكن ابن العاطفة فلا تأثير له البتة

. . . .

البشر هم عائلة الله . وروحه فيها تتطلب الوحدة والوحدة بنت الاتحاد والاتحاد لا يتم الا بالتفاهم والتفاهم يتطلب التساهل ونكران النفس

. . . .

بالاتحاد نقلب مملكة . بالاتحاد نرفع الاثقال وبالتعاون نكسر نير الاستبداد

. . . .

اخي ذو عيال تلزمه مصاريف اكثر مني وعليه فانا اجتهد ان انقل

من يدري الى بيدره تحت جنح الظلام ما يزيد في غلتـه ويخفف عنه ثقل حمله

....

هذا الشاب تضطره الحالة الى الاستخدام في محل عند قوم لا يهمهم سوى المادة فهم يرون علمه جهلاً وجهلهم علماً فهو غريب في تأملاتـه بعيد عن امانيه وعن رغائب نفسه

....

رجل عامل في حقل الآداب يتمنى الخير للجميع ولا يتلون في اقواله قلبه بين شفتيه ولا يرهب في الحق لومة لائم · شعاره المبدأ وخطته المحافظة على المبدا وبذل الحياة في سبيل المبدا والمحيط يتطلب منه الاعراض عن ذلك لارضاء السوى · هذا الرجل غريب في قومه وفي مسيره وغربته مرّة

....

غريب هو الصوت الحي المنادي بالصراحة في القول والعمل بين قوم يحبون التكتم عن رياء وخبث ومداهنة

غريبة هي الكلمة « كلمة الحق » في محيط يبيع الضمائر بابتسامة غاشة وبمنفعة مادية

....

السعادة لا تشرى بدراهم ولا تحصر في قصور ولا تذخر في صناديق جواهر · والمال يملأ الجيوب ولكنه لا يملأ القلوب · فرب سعادة في

فقر ورب انس في قفر ورب وحشة في قصر ورب جفاف في بحر ورب حياة في قبر

......

انا اؤكد لك ان الرجل العاقل المخلص لا يهمه المظهر السطحي بل تهمه نفسك واخلاقك واحاديثك المذبة ولا يطلب منك الا النظافة والترتيب والنظام في العائلة والاقتصاد في الزيارات والوقت والدرهم

....

راجعي التاريخ تري ان ما من رجل عظيم وصل الى مجده الا وكانت الى جانبه امرأة تشجعه على العمل الحسن وتحوله بدرايتها عن السيء

....

يطلب بعضهم رأينا في امر فنهديه طريق الضلالة فيعثر ويقع فنضحك منهُ

....

حبذا ثوب من مسح على جسد سليم وبئس الثوب الحريري على جسد سقيم

....

قبلة يهوذا جزيرة صغيرة في بحر الحياة بالنسبة الى قارات قبلنا اليوم

....

سلوا الطبيب الرقيق الشعور والغني بالعواطف بما يشفي مرضاه أبرقته

أم بجرعته ؟ سلوه كيف أبقى روح العليل معلقة بابتسامة من ابتساماته . وكم تمكن بتلك العاطفة من ابادة آلام وتنشيط قوى واهية وتشجيع قلوب «مضطربة »

. . . .

هذه ورود متفرقـة اقتطفتها من حديقة كبيرة فيها الشيء الكثير من احسن الازهار لمن يتنزه فيها ؛ اما وقد متعت بصرك ايها القارىء وملأت صدرك بالعبير المتأرج من هذه الازاهر التي دلاتك عليها فتجول بنفسك واقتطف واستفد .

اني استفدت من قراءة هذا الكتاب ورجائي ان يستفيد منه كل من يُقبل عليه

سان باولو ٣٠ ك ٢ سنة ١٩٢٨

توفيق داود قربان

المراة السورية

القيت هذه الخطبة في سانطوس في شهر اذار سنة ١٩١٤
بدعوة من الجمعية الخيرية السورية

ايها السادة :

تعالوا قليلاً فالليل مرخٍ سدوله والخلائق في سكون ترشف ماء الكرى العذب بعد اتعاب يومها ولنقترب من نافذة صغيرة خرج منها نور ضئيل يهدينا الى ما في الغرفة . طفل صغير يئن ويبكي وقد سرت الحمى في عروقه تضمه ذراعان ضعيفتان . وترطب حر حمائه دموع عين ساهرة . وقبلات شفاه صامتة . ويخفق لشفائه قلب رقيق وتنسكب لاجله بالصلاة امام مانح الشفاء نفس متألمة انظروها ، انظروها ! هي امرأة مسكينة تتمشى في الغرفة ذهاباً واياباً والطفل على ذراعيها ينظر اليها كمن يقول لها :

سقياً لك يا اماه فقد تعبت يداك وكلت رجلاك . وكأنها تجيبه بدموعها وبنظراتها :

انني اموت لاجلك واسهر الليل على شفائك واشري سعادتك بتعسي وراحتك بشقائي .... هاكم في صدر الغرفة سرير نام عليه الوالد وغط في سبات عميق . وها الام تجتهد باخفاض صوت الطفل كي لا يستيقظ الاب من نومه الهنيء . واذ علا صراخه خرجت به الى صحن

الدار محافظة على راحة النائمين فتأملوا ..

اتركوا الرجل نائماً والمرأة تسهر على طفلها وانظروا الى ذلك البناء الشاهق . سهر ساكنوه حتى الصباح . سمع ويسمع فيه حركة والكل فيه كأن على رؤوسهم الطير . اصوات متقطعة ، انين متواصل ، صراخ ألم ولهجة استغاثة والكل ناظرون ولا ما يعملون . وماذا يوجد هنالك ؟ امرأة تتمخض وتعاني آلام الولادة لتوجد انساناً في العالم . امرأة تذوق المرارة لتجلب حلاوة للعائلة . امرأة تهدم اركان حياتها لتبني دعامة جديدة في بيت رجلها . امرأة تموت لتحيي اسم زوجها . امرأة تبكي ليبتسم العالم . اسمعوا صراخها اسمعوه بربكم . قد عاينت الموتْ وجهاً لوجه وطرقت ابواب الابدية وقرينها متغيب عنها في المدينة الثانية وقد يكون ناعم البال يرشف كأس مدام او يجالس سميراً او يتنزه في الحديقة او هو غائص في بحار سروره وهي في بحار آلامها

كلاهما مؤسسا عائلة وكلاهما عاملان في العائلة وكلاهما يتعب للعائلة وللبنيان . ولكن تحمل المرأة من الآلام وتصادف من الاخطار ما لا يقوى على حمله الرجل ساعة

خلق الله آدم وسلطه على الحيوانات والطيور والمخلوقات كافة ومتعه بالنور والهواء والحرية في الحياة . الا انه جل جلاله رآه ناقصاً ومتعباً فاخذ من اضلاعه ضلعاً وصنعها معينة له . فاذاً من المرأة ومن هي المرأة ؟

هي شفقة الله على الرجل . هي اليد الضامدة جراح الرجل . هي

مكملة الرجل ، هي ماسحة دموع الرجل ، هي العين التي لا تنام الا على راحة الرجل ، هي المبردة نيران غضب الرجل . وهي هي القلب الصبور والعاطفة الرقيقه . دمعة منها تمحو غياهب حدته وابتسامة من ثغرها تزيد في اسعاده وهنائه

هي الجندي الذي يلج ساحة معترك العالم وفي يده سلاح الصبر وقد تقلد سيف الاخلاص . وهي الصوت الرقيق المحرك اوتار النفس والقيثارة السماوية الموقعة الحان السلام . ام وقرينة وشقيقة وابنة طفلة وشابة وكهلة وشيخة هي ملاك العائلة وجمال البيت

عرف السوري كل هذا ولكنه ويا للاسف اهمل شأن المرأة فتأخرت وبانحطاطها انحطت الامة جمعاء . وهذا الانحطاط حسب ظني تسبب عن اربعة اسباب :

اولاً :

اجتمع في تلك الغرفه نساء كثيرات ينتظرن ولادة امرأة . الاب في الغرفة المحاذية ينتظر البشرى والاهل يهيئون المعدات للمهنئين والحلويات للحضور . الكل على احر من الجمر ينتظرون قدوم المولود . بغتة صمت الجميع اضطربت الهيأة وانسحبت الواحدة بعد الاخرى بانتظام . ثم اتت احداهن الى الاب وقالت له بصوت مهموس تسلم انت وامرأتك ولدت بنتاً . بنت . يا لله ! ضربة قاضية على العائلة مصيبة كبرى بنت . وهكذا تأخذ الناس بتطييب خاطر ابيها لما حل به

تنشأ البنت وقد زرع في قلبها وخرق اذنها ان البنت رخيصة وان

موتها وحياتها سيان وان لا اهمية لها في العائلة ولا الكون فتحتقر ذاتها وتصغر نفسها وتصبح زاهدة في وجودها ولا يهمها اصلاح شأنها بخلاف لو عرفت اهمية مركزها ولماذا ولدت ووجدت

ثانياً — النقص في تهذيبها وتعليمها :

اشكر الله انه قد انتشر في بلادنا روح وجوب تعليم الفتاة ولكنه لم يزل ناقصاً لانني لا اقصد بالتعليم درس الجغرافية والعروض او علم اللغة الانكليزية او الضرب على البيانو ولا اتقان لغة الصالونات ولا الجيولوجيا والطبيعيات . بل اقصد بذلك تعليم الفتاة قبل كل شيء من هي وما هي . لماذا خلقت ولماذا تعيش . اقصد تعليمها قواعد دينها لان الدين هو الباعث ماء الحياة الى وجه الفتاة . تعليمها خوف الله ليكون لها في حياتها حصن من مخافته تعالى يقيها صدمات الاعداء . ولتذخر قوة من الايمان به تعالى تتغلب على الصعاب والنوائب

تعليمها ما هو الشرف وما هو عرش مجدها لتحافظ عليه لتكون نقية امام الله وامام نفسها وامام قرينها الذي سيسلمها قلباً مخلصاً ووفياً وامام اولادها التي ستكون شعارهم ويكونون زينتها

تعليمها ما معنى الاخلاص وما معنى الرقة وما معنى الحشمة وما معنى الوداعة . تعليمها العلوم اللازمة لها لتستعين بها على الدهر . وتعلمها من تواريخ سير الاقدمين ما يكون انموذجاً لها للصبر والاحتمال وتعليمها ما هي الحياة وكنهها وما هو الدهر وتقلباته وما هو العالم وشره . تعليمها الخير لتسير به والشرح عن الشر لتتقيه وتحذيرها من العالم الخادع

والغاش

تعليمها ان تكون عظيمة وشجاعة في الدفاع عن حقوقها . تعليمها الفضيلة ومحبة الحقيقة المجردة . تعليمها ما هي العائلة والبيت وقبل كل شيء ما هو الرجل . ومن هو الرجل وما هو قلب الرجل

هذه هي العلوم التي اراها ضرورية للفتاة لتكون امرأة عظيمة وبعظمتها تعظم عائلتها فامتها

ثانياً :

تزويجها صغيرة قبل حلول اوان الزواج وتسليمها لرجل لم تختبره ولم يختبرها فتكون اذ ذاك كنعجة مقادة الى الذبح . فتاة لا تعرف بعد من العالم سوى الاشياء المرضية ولا تفقه من امور العائلة شيئاً تملك قيادة مملكة عظيمة كالعائلة » فتاة لا تعرف ما معنى الحب تقف في موقف الحب لتحب وتحب وتتملك عواطف رجل وتكون اهلاً للمحافظة عليها ؟ فتاة في الثالثة عشرة او الخامسة عشرة من عمرها تقف امام الله لتقطع عقداً مع قرينها للمحافظة على شرفه وشرف زواجها وهي لا تعرف بعد ما هو سر الزواج المقدس وما هي العهود الزوجية ولا تميز ما هو الواجب الخطير الذي دعيت اليه . فتاة تدخل البيت لتؤسس عائلة وقد تكون بجهلها سبباً لخرابه لانها حديثة السن ولا تعرف شيئاً عن دعائم العمران بعد ولا اختبرت العالم ولا احتملت مضضاً لتصبر على هفوات قرينها وتنظر الى شواذه بعين الحلم ولا خبرة لها لتقدر مواهبه وتنشطه وتسير معه في الطريق المثلى لارتشاف ماء السعادة

فكيف ينتظر اذاً عائلات راقية من زواج كهذا ؟ نعم ان هذا السبب الثالث هو اقل من السببين السابقين في بلادنا لانه في السنين الاخيرة قد اعرض الفريق المتنور عن اتباع هذه الخطة فحمداً لله

رابعاً — معاملة الزوج لزوجته :

لذلك يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . شاءت الحكمة الالهية السامية ان يؤلف العالم من ذكر وانثى وخصت كلاً منهما دون الآخر بصفات وميزات لا تتم في الواحد دون الآخر

قوة تحتاج للرقة . ولذلك فان اجمل الصفات التي يتطلبها الرجل في المرأة هي الضعف واللطف والحياء والاقتصاد واسمى الصفات التي تنشدها المرأة في الزوج القوة والشجاعة والاقدام والسخاء اتحدا فالفا واحداً كاملاً واختلفا فهدما اسس البنيان في العالم . احتقر احدهما الثاني فنقضت القاعدة وافترقا فآلت حالة الامة فالمملكة فالعالم الى الويل والدمار

بربكم ايها السادة قابلوا بين رجل يعطي امرأته حقوقها في عائلتها ولديه ولدى الناس وبين من يضغط عليها وينظر اليها ككمالية في البيت لا اساسية . قابلوا بين من ينظر الى امرأته وامارات الحب والارتياح بادية على محياه وبين من ينظر اليها والكآبة تعلو وجهه والشراسة تكسو محياه . قابلوا بين سعادة رجل يشاطر امرأته شعورها ويهتم بشؤونها كلها ويأخذ رأيها في اموره وبين رجل يحتقر امرأته ولا يسمح لها بابداء رأي

في اعماله ولا بالمداخلة في شوءونه · قابلوا بين زوج ينادي امرأته باعذب النداء وارق الالقاب وبين آخر يناديها آمراً ويخاطبها بقسوة ويعرض عنها ان سألته شيئاً ولا يحادثها آلا لسوءال امر ما من امور البيت

قابلوا قابلوا بين ذاك وهذا بربكم ادرسوا حالة المرأة في بيت يدخل ربه آمراً ويخرج نافراً · انظروا الى صغاره وصغار الزوج العاقل الحكيم فتجدوا الفرق وافقهوا ما السبب في كل هذا!

اليس لتلك المسكينة حق في معرفة امور قرينها ؟ اليس لها حقوق عليه يجب ان لا يبخسها اياه ؟ أو ليست هي شريكته ونصفه ومعينته على الدهر ؟ أو ليست هي الناظرة اليه كحصنها ومجدها والمعلقة عليه آمالها كلها والمعتقدة انه هو هو الحياة كلها لديها والعالم باسره ؟

أو ليست ابتسامة منه تحيي شعورها وتقوي ضعفها ؟ ونظرة حنان اليها تنسيها الآم حياتها وصعوبات مركزها ؟

فاذا عرف الزوج كل هذه ايسامح يا ترى اذا عاملها بالخشونة واحتقرها او ضغط عليها وحرمها من حقوقها ؟ لا لعمري

ايها السادة

الفلسفة كل الفلسفة والعلم كل العلم والتهذيب كل التهذيب معرفة الانسان نفسه ومعرفته قدر الآخرين

فيا ليت شعري كيف يتسنى للزوج معرفة قدره وهو قد تجاهل معرفة قدر الآخرين ؟ ؟ وكيف يتطلب الرفق وهو قد احتقر نصفه ؟

و كيف يتطلب السعادة وهو يسعى في شقاء واهمال ام اولاده ؟ ام كيف يرجو منها ان تراعي عواطفه وهو لا يراعي عواطفها ؟ او هل ينتظر بعد هذه المعاملة حياة في العائلة ؟ او هل ينتظر انتظام في البيت ؟ او ارتقاء في تربية البنين او نهضة في الامة كلها

سؤال اتركه لمجموعكم ايها القوم الكرام يا من عرفوا كل هذه الامور معرفة الخبير وفقهوا الداء فسعوا لايجاد الدواء بتنشيط المرأة السورية بسعيهم لايجاد حفلة كهذه . المرأة السورية قابلة للرقي وذات استعداد للاصلاح وقد تحصل على كل هذا بسعيك ايها الرجل السوري . ايها الاب والاخ والزوج والولد

لولا عناية الاب وتنشيط الاخ ومساعدة الزوج لما وقفت بينكم اليوم فتاة سورية خرقت حجاب الضغط ورفعت صوتها بالمطالبة بحقوق ابنة جنسها العزيزة

كلمة اخصصها لمعاشر الرجال تحت هذه السماء الصافية تحت سماء البرازيل التي تعترف بفضل المرأة بمساعدتها للرجل . تحت سماء بلاد لم يقوم على اكتشافها كولومبوس بدون مساعدة امرأة وهي ايزابلا مالكة اسبانيا

اليك ايها الزوج السوري الذي هجر بلاده وقصد بلاداً تتعزز فيها المرأة اوجه خطابي اليوم كيما تنادي امرأة بلادك من وراء البحار وتدعوها الى النهضة والرقي

اليك ايها الزوج السوري اصرخ وبك استغيث ان تضيف الى

اعمالك الجليلة في مهجرك من اعمال الرحمة والبر هذا العمل الاساسي العظيم ألا وهو الاهتمام بشؤون المرأة

والى السيدات السوريات تحت هذه السماء امد يدي ملتمسة مساعدتهن الزوج لانهن قد رأين النور وعرفن اسبابه . الى السيدات السوريات والشقيقات العزيزات اطلب واطالبهن بالنهوض من الرقاد الطويل فقد آن لنا ذلك

لنسع . لنتحد . وليعرف كل منا نفسه . لتقف المرأة عند رقتها والزوج عند قوته . ليشفق كل منا على الآخر ولنؤلف مجموعاً جديداً هو المجموع الراقي الساعي الى حياة العمران والامة

مدينة الملجا

الخطاب الذي القي في حفلة جمعية اليد البيضاء عام ١٩١٥

ايها السادة

في احدى ليالي الشتاء الباردة بينما كانت الرعود تقصف والامطار تهطل بغزارة كان يرى شبح يتسلق التلال تارة واخرى يهوي الى الوديان · طوراً يلج الكهوف ثم يعود منها على الاعقاب ، وطوراً يتغلغل بين الاشجار والغابات دائساً دون وجل هشيمها والاعشاب · اخيراً بعد ان انهكه التعب جلس على صخرة تحت سنديانة طلباً للراحة ثم قال :

اواه يا ابت : لقد اضعت العمر ، وشربت المرّ ، وافنيت جسمي بالتعب وقواي بالنصب · وها قد قطعت سن الكهولة ولم اترك باباً من ابواب المعرفة والاختبار لاصل الى مدينة الملجأ التي اوصيتني ان التجئ اليها لاحفظ اسمي وصحتي ومركزي ونعمتي وحتى اليوم لم اقف لها على اثر وقد ضاقت بي الحيل ونفذ مالي وتلف حالي · فهلا رحمتني يا والدي ونظرت اليّ من عالي سمائك لتنير سبيلي بحكمتك وحسن آرائك · وهلا رفرفت روحك الطاهرة حول ظلمة قلبي لتهديني الى حل هذه الاحجية اني سيفنى العمر وسافقد كل مال وجاه وصحة واسم دون ان اصل الى معرفتها : . . . . .

قال هـذا ونهض سائراً في سبيله ليواصل خطته في التفتيش عن مدينة الملجأ

انتصف الليل وسكنت المخلوقات وذلك التائه لم يزل يواصل السير تحت هزيم الرعد وهطل الامطار الى ان لحظ عن بعيد نوراً ضئيلاً على هضبة فخفق فؤاده طرباً وقال : ها ها هذه مدينة الملجأ . انني لمواصل السير في هذا الليل الداجي على اصل اليها فاستريح واسترجع ما خسرته في سبيل الوصول اليها

تشددت عزائمه وتنشطت قواه « وطالما اتى الوهم بقوى لا تجدها في الحقيقة لان الانسان ابن ما يرى والفكر قد يسعد الانسان وقد يشقى وان كان ذلك الفكر وهماً » . وهكذا سار صاحبنا لا يلوي على شيء الى ان وصل الى تلك الهضبة فرأى بناية عظيمة شاهقة قوية الشكل محاطة بالاسوار الحديدية . ولما وصل الى البوابة الخارجية اخذ يقرع الباب بعنف قرعاً متواصلاً . ففتحت البوابة وظهر شيخ جليل كلل هامته نقاء الشيب وجملته ملامح الوقار والهيبة فبسم للطارق وقال : ما تقصد يا بني ؟ فاجابه : ايها الشيخ الجليل ، انني قطعت مراحل عديدة من الحياة وانا سائر وراء ضالة انشدها على انني والحمد لله قد وصلت اليها الآن فهل لك يا عماه ان تأذن بقبولي فيها ؟ اليست هذه مدينة الملجأ؟

فاجابه الشيخ بعد ان نظر اليه نظرة تأمل طويلة قائلاً : لقد اخطأت يا بني فهذه ليست بمدينة الملجأ . على انني ارجوك ان تدخل لاري ما

شأنك

قال هذا ودخل معه واغلق الباب . وبعد ان قدّم له ما يلزم من الغذاء والدفاء والراحة امر الشيخ بان ينام ضيفه ليأخذ بعض الراحة . وفي صباح اليوم التالي شربا القهوة وجلسا يتحادثان فقال الشيخ :

اي بنيّ . قصّ علي حكايتك اذا شئت

فابتدأ الشاب في الحديث وقص على الشيخ حكايته من حين احتضار والده واعاد على مسمعه وصية والده الاخيرة . وكيف اخذ يسعى بعد وفاة والده لمعرفة تلك المدينة وكيف اقتحم الاخطار وقاسى الاهوال والصعوبات وفحص كل شيء وبحث في كل امر ولم يتصل الى متوخاه كان تلك المدينة معمى من معميات الوجود او سر من اسرار الحياة

اجابه الشيخ وقد برقت اسرته : اعلم يا ولدي ان اباك كان رجلاً حكيماً ومحنكاً خبيراً ولم يقصد بمدينة الملجأ ما ظننته انت بل اسمع لاقص عليك ما هي مدينة الملجأ وما قصد بها ابوك

******

الحياة يا ولدي كناية عن مراحل عديدة لمدن كثيرة تختلف وضعاً ومعنى . وما الانسان في هذه الحياة سوى مسافر سائح يقطع المسافات البعيدة ويخوض بحار الصعاب، ووجهته امان تختلف باختلاف اطواره وتتباين بتباين رحلاته . حياة غير محدودة لكائن عظيم محدود . تقيده اغلال الهيولي فهو طليق سجين وعظيم ضعيف ومسيّر مخيّر معاً وهو ووجوده في العالم سر من اسرار الخليقة ولغز من الغاز الكائنات . هذا

هو الذي تراه تائهاً في يم هذا الوجود ينزل بنا اليوم ضيفاً ويرحل غداً يقيم غداً ويبرح بعد غد فهو كطائر عظيم لا يلذ له القرار ما دامت نفسه مرتبطة بجسده الفاني · هو الانسان · وكثيراً ما يحسن الوجهة ولا يحسن السبيل على انه لو احسن السبيل لبلغ الوجهة الفضلى ولو سار على الدرب لوصل

تتغير مراحله وقد يسير على غير هدى تقوده النفس الامارة بالسوء الى الهاوية وقد يسمو مقاداً بمطالب الروح النبيلة فيسمو وبارتقائه يسمو مجموعه · على انه مهما تباينت مطاليبه ورحلاته فهو لا يعيش سعيداً ان لم يلتجي الى مدينة الملجأ وهي مدينة عزيزة الشأن عظيمة الموقع متينة البناء وبها وحدها يلقى الجناح الظليل والأم الحنون · تحت وقايتها ينام آمن البال قرير العين ، لانها خيمة لا تخترقها امطار ولا تهدمها زوابع · فيها يحصد غلات الارض ويجمع خيرات السماء · وهي حصنه امام عواصف الحياة وشديد الانواء · هي الدافعة عنه الآلام وهي منقذته من اليأس والهوان والذل والخصام ، ومن خواصها انها تعوده الاعتماد على نفسه وتبعث على تنشيط قواه وتجديد ايام صباه

عند ذاك صرخ الزائر : عماه بربك قل لي اين هي او بالحري ما هي تلك المدينة العظيمة او ما هو ذلك الملجأ فقد كدت اذوب شوقاً الى معرفتها وقد خلتها الان دار الصفاء وبيت السعادة

استطرد الشيخ كلامه وقال : اما اين هي وما هي فهي قريبة منك كثيراً لا تقدر ان تسير بدونها الا اذا جارت عليك الاقدار · واما ما

هي فهي لم تصنع بيد فانية · بل هي من مصنوعات الله التي زينت الانسان بالقوى وصورت فيه الجمال وجعلت بين تلك المدينـة وبين ملك الحياة اسلاكاً متينة لا تقصفها الزوابع والانواء · فهي متممة ارادة النفس وهي آلة مضبوطة الشكل ودقيقة التركيب وحسنة الهندسة وهي هي ...

اليد العاملة

عندئذ صاح الضيف : يا للغرابة ! أهي اليد البشريـة ؟ او تكون اليد مدينة للملجأ · او هل تعرف تلك المزايا ؟

اجابه الشيخ : نعم يا ولدي ، اصغ سمعاً الي فانك لم تر بعد ما هي الوصية التي تركها ابوك · نعم انها اليد يا بني · وهي المدينة التي يلتجىء اليها الانسان · قال ابوك احتفظ على صحتك واسمك ومنزلتك ونعمتك وكلها لا تجد الاحتفاظ عليها الا في ظلال مدينة الملجأ · فاليد العاملة وحدها تحتفظ على كل هذا · الصحة يجلبها العمل والاسم يحفظه العمل والمنزلة يرفعها العمل والنعمة تدوم بالعمل

اي ولدي : لا انكر عليك استغرابك هـذا فقد اعتدتم انتم معاشر الآدميين ان لا تنظروا الى الامور الا من ظواهرها · وقد تكون تلك الظواهر غاشة · ظننت ان مدينة الملجأ هي بيوت عديدة جمعت الى بعضها واحيطت باسوار فاصبحت مدينة يلجاء اليها كل تعب هارب من اتعاب الحياة ؟ لقد اخطأت في ظنك فالانسان لم يخلق ليلتجىء الى بنـاء غيره

والنفس الكريمة تأبى المبيت تحت سقف رفعه الآخرون والشريف يستنكف من اكل رغيف عجن بعرق جبين السوى . كما ان النوم لا يلذ الا بعد التعب والنصر بعد الجهاد والراحة لا يتوق الانسان اليها الا بعد شقائه . التعب الذي بدونه لا نأكل خبزاً هو علة ابتسامتنا وراحتنا لحصولنا على لذة الجنى والحرية والاستقلال

عاش الانسان سابقاً عاملاً نشيطاً ، يعتمد على يده ويلتجيء الى قوة ذراعه فكان زارعاً وفلاحاً نشيطاً ، صانعاً وعاملاً دائباً

كان يقتلع الاعشاب والحشائش للغذاء اما اليوم فقد صار يحتاج اليها للدواء . كان يستقبل تغيير انواع الطبيعة بقوة صحيحة وجسم حديدي اما اليوم فاصبح يهرب من اقل زوبعة الى البيوت والملاجيء التي شادها هو لنفسه يستعيض بها عن جمال البرية وحرارة الشمس ونور النهار . كان يصارع البرد ويبسم للخريف ويده تعمل في المناجل وترافق النير وهو ينشد اغنية السرور ولا همّ له سوي الحصول على قوته اليومي غير مهتم بالغد لان غده مكفول عنده طالما يده عاملة وارادته موجودة ففقده يومه ويومه غده

اما مدنية اليوم فقد سارت بالانسان الى الكسل والخمول . العلم الحديث عمل على توسيع العقل وعلى اضعاف الجسد ، اتى بالاختراعات العظيمة فسارت بالانسان الى التقيد بشرائع جديدة فقد معها الانسان النشاط والميل الى العمل والحركة وصار يفكر فقط في كيفية تحصيل معاشه دون ان يسعى اليه كسعي الاولين وقد صار كل منهم يستنكف

من العمل ظناً ان العمل فقط منوط بالذين لا علم لهم ولا معرفة . فصار الانسان يستخدم اخاه الانسان لقضاء حاجة يقدر هو ان يقوم بها بنفسه ولكنه لا يعمل لانه من العالمين

صار مترفهاً يستعمل الماكنات والآلات ويستخدم العربات والسيارات و.... و.... الى ما ليس له احصاء لاجل راحة جسده ولم يفقه ان بهذه الراحة الوقتية قد خسر راحته الزمنية وانه باهماله العمل والحركة مشى مشياً سريعاً الى لحده

تغيرت مزاياه فصار عبوساً نحيلاً لان دماء الحياة اخذت تقل وارداتها الى قلبه . وتقيد بقيود التقاليد فنام خاملاً وقام كسولاً . وهذا ما ورثه الابن عن والده وما يترك الابن ايضاً لخلفه . وعلى هذه القاعدة ضعفت الاجساد وقصرت الاعمار ونخرت العظام وازدادت الآلام

اين رجال اليوم من رجال الامس ؟ واين حالة الاجتماع اليوم من حالته بالامس ؟ اين سعادة العائلة اليوم من سعادتها بالامس ؟ . قابل بين من يأتيك مساء ورغيفه بيده لاطعام عائلته وقد جناه بعرق جبينه وبين من لا يلذ له طعام لانه خسر مع التاجر الفلاني كذا او لان لالوان على مائدته كانت غير مستوفية شروط لذوق الجديد . وافحص بربك اجساد افراد المجموع اليوم واخبرني كم تجد فيها من القوى النشيطة والعضلات القوية والسواعد المفتولة والقلوب السليمة

هذا ما قاله ابوك يا ولدي بتلك الكلمات القليلة وهذا ما اعيده على

سماعك اليوم · وجهتك ان تعمل بيديك فان نتيجة العمل الجميلة تعود اليك وسعادتك بها لا احد يجسر على نزعها منك · فالتجيء الى ذراعك واتكئ عليها في سياحتك · فهي صديقك ان جفاك الصديق · وهي مغيثك في ابان الضنك والضيق · وبدون العمل لا امنية ترجى ولا امل

قال هذا ووقف الشيخ مودعاً وقال: يكفيك يا بني ما سمعته الآن · فاذهب في سبيلك والجأ الى يدك فالناس فريقان فريق يعرف يده فيلجأ اليها وفريق يعرفها فيعرض عنها فلا تكن ممن عرفها واعرض عنها · ناد في الشوارع والطرقات · ان بالعمل والحركة فقط ترتقي المخلوقات · وان لا عار في الشغل واستخدام اليمين وانما العار كل العار في الذل وبذل ماء الجبين · واذا كنت ابن ثروة واصبحت بعد ذاك فقيراً فلا تستنكف من العمل لان العمل يعمل على تهذيب اخلاق من لا خلاق له وبهذا يكون فقره عاملاً على تهذيبه · واعلم ان فقر الثوب ليس بعار بل العار فقر النفوس · وان الفقير العامل يملأ فراغاً في الكون لا تقوى عليه الاغنياء · وان بدون الفقير العامل لا ينعم الغني بالاً ولا يسعد حالاً · وقد يكون الفقراء اغنياء في اكواخهم والاغنياء فقراء وهم في قصورهم · قال هذا واراد الخروج فتعلق باذيال ثوبه الشاب وقال: مولاي · سؤال آخر ارجو الاجابة عليه · وماذا يكون حظ المسكين من اخنى عليه الدهر واحرمه ذراعه وقوته وعضده · اجاب: ان المجموع الصحيح مطالب بتعويض ما خسره اذ من قوته يؤلف يداً تمد لعونه في سياحته مدة وجوده وما المجموع الا جسم واحد والعضو الصحيح مجبور على خدمة

العضو السقيم

هنا ختم الشيخ كلامــه وسار فتبعه اذ ذاك الضيف وقال : مهلاً مولاي دعني اشكرك واقبل يدك واعرف ما هو اسمك

فنظر اليه الشيخ نظرة اعجاب وقال : لماذا تشكرني وقد قمت بالواجب وكيف تقبل يدي وقد اعتاد بنو عصرك ان يهزأوا بالشيوخ ؟ اما اسمي فهو — الزمان —

قال هذا واختفى عنه بغتة · فنهض صاحبنا السائح وقال في نفسه : حقاً لقد صدق الزمان ان لا ملجأ للانسان في العالم الا يده ومن اخنى عليه الزمان فقد عوضه عن يده باخوة في الانسانية هم يدها البيضاء

******

اجل يا سيداتي وسادتي

هاكم مدينة الملجأ لمن احرمه الزمان يمينه ولمن سطا الدهر فسلبــه معينه · هاكم اليد البيضاء التي سجل الزمان وقائع جلساتها الخيريــة لمسح دمع الفقير والعجية · هاكم سيدات شعرن بحاجة الملجأ الى من لا ملجأ لهم فصفن من نقاء قلوبهن وحنانكم ايها اللفيف الغيور وقوة ارادة الجاليــة يداً بيضاء فضية لتكون مدينة لوقاية الازهار التي لا ورق لهــا والغروس التي لا سياج لها · فلتهنأ الجالية السورية في سان باولو ولنفخر المرأة التي برهنت بيدها البيضاء انها بثباتها وعزيمتها تسبق الرجال وتحفظ تاريخــاً جميلاً لا تمحوه يد الايام والاجيال

· · · · · ·

اليد البيضاء ـ هي جمعية خيرية لخيرة سيدات الجالية في سان باولو

هي يد عاملة على ضمد جراح الانسانية البائسة وقد سجل لها تاريخ الهجرة صفحة اعجاب وذكرى مجيدة خالدة

في نفسها سيف

وهو الخطاب الذي القي في حفلة مدرسية

ايها المحفل الموقر :

القت ملكة النور تحيتها على جلال لبنان فطفحت وجنة افقه بشراً واستئناساً وتجددت قوى الرياض الناهضة من سباتهـا الهادي وصفقت اجنحة الاطيار ترحيباً بالوافدة الجميلة . وزقزقت عصافير الادواح فامتزج بذلك صوت تلاطم امواج المتوسط فتألفت انشودة جميـلة لصورة جميلة هي ما نسميه بالصباح

عزفت قيثارة الكون بالحانها الشجية وتهللت مخلوقات الله وسمع في الوديان صدى طنين اجراس الكنائس بلحن هادىء شجي يدعو الناس الى الخشوع وتسبيح المبدع العظيم . وكانت تلك الرنات المتواصلة اجمل وقعاً في النفوس من رنات الاوتار ونغمات العازفين . وهي الانشودة الثانية التي تهواها نفس الانسان الحالقة في فضاء الصفو الروحي بعد تخلصها من شكل الموت وشعورها بالحياة الجديدة التي وهبتها اياها العناية

نهض الجميع بنشاط واسرعوا من شيخ و كهل وطفل وعجوز وشاب وفتاة من رفيع ووضيع الى استقبال صباح العيد وما ادراك ما هو صباح العيد . هو محط رحال المتعب هو نور لامع يبدد ظلام من تخاصم من

الشقيقين . هو رابط جديد يجدد علاقات الصديقين . هو قبلة مقدسة تربط عواطف المتنافرين هو مائدة نفيسة تجمع بين مخلوقات الله من الفريقين . وهو ثوب جديد يزين نفوس عابدي الله والمعجبين بحكمته القصوى ودارسي نظام خليقته السامي

. . . .

من كوة صغيرة في غرفة حقيرة محاطة باسوار حديدية في زاوية من زوايا المدينة كانت تسمع بين تهليل المخلوقات ورنات الاجراس تنهيدات عميقة يتصاعد معها زفرات حارة لا تطفئها دموع مصدرها . ومن حين الى آخر كان يقطع خيوط الهواء صوت يردد هذه الكلمات :

آه ! الكل يسمون في العيد ويصفقون بايدي الفرح وانا ضمن دائرة سجني المظلم اقاسي عذاب الاسر والوحشة الوانا . شعر الكل ببهجة صياحهم هذا وما اشد هذا الصياح وطأة على نفسي . هنا يرى الفرق بين حالة النفوس الطليقة والنفوس السجينة . لا اعني الطليقة التي لم يعتقلها الانسان باقفاصه الحديدية بل هي النفوس التي لم يكدر صفاءها عذاب الضمير والندم على الماضي . والتي لم تغل يديها تذكارات مرة وآلام سابقة . كم من نفوس طليقة وهي سجينة في قومها ونفوس سجينة وهي حرة في ذاتها . حبذا لو كنت طليق الجسد ايضاً في صباحي اليوم لاسر مع رفاقي وذويّ . ولكن اني لي ذلك ونفسي سجينة ايضاً في اثمها وروحي تنتفض لدى ذكرى ما جنته يداي من القسوة والفظاعة . انني اثيم وسجين وبهجة نفوس السوى في صباح الاعياد تزيد في آلامي وتضرم

نار وحشتي . انني قاتل وسافك دماء . والدماء المهرقة على الارض تصرخ الى اله السماء طالبة الانتقام . او انتظر بعد ذلك من رحمة ؟

....

اليك عني ايتها اليد الناعمة الرقيقة التي اعرفها اليوم بقاتلة الابرياء والملطخة بالدماء . اليك عني ايها الثغر الباسم الذي مهد لي الصعاب وسبب لي بتساهله الوصول الى حفرة العقاب . اليك عني ايها القلب الضعيف الذي لم يقوَ في صغري على التغلب على مطامعي الولدية فقادني الى الهمجية وعلمني بضعف جاشه القساوة البربرية . اليك عني يا من بالدلال والاهمال اوثقت يديَّ وقدميَّ بالقيود والاغلال ايتها المخلوقة العظيمة التي بيدها مفاتيح السعادة والضعيفة التي تحت اقدامها الهاوية والجحيم

وهنت قوتك امام تقويم اعوجاج اميالي حين كانت لينة غضة وبسمت لي حين سطوت على افراخ الدجاجة وخنقت بعضها ففرحت اذ ذاك بقوة جاش طفلك وقويت بابتسامتك ما اختلج في فوءاده الصغير من الضعف فصار يرى بكاء الحيوانات الاليفة غناء جميلاً ويرى بموت صغار العصافير والطيور عملاً مفيداً جليلاً

ضعف قلبك امام دموع ولدك ولم يضعف امام دموع تلك الحيوانات المسكينة التي تحتاج الى شفقة اكثر من الانسان لانها ضعيفة لا قوة لها على الدفاع فانشأت في فوءادي حب الفتك والايقاع وجنيت على ولدك ولم تشفقي على حياة وحيدك

لقد جاز في نفسك السيف حيث لا يجديك ندم ولا حيف فابك زهرة رميتها في زوايا سجن الشقاء وقضيت عليها بتساهلك ومراعاتك فقط للعواطف الابوية وما فقهت ان من الصغائر تأتي الكبائر وان الجرائم العظيمات تتولد من الهفوات الهينات

فلينقل الهواء كلماتي هذه الى العالم الاقصى ولتخطها ايدي الزمان على صفحات التاريخ علَّ بها عبرة وذكرى

. . . . . .

نعم ايها السادة لقد حفظها التاريخ كما حفظ سواها من العبر واعاد لنا ذكراها في ليلة ادبية جمعت بين الام والوليد والزوج والزوجة ممن يطيب لهم البحث ومعالجة موضوع من اسس مواضيع العمران

. . . .

من ذا الذي يمشي على سطح البسيطة عاملاً ناطقاً مفكراً يسبح في الفضاء حالة كونه مضطجعاً على اسرة التأملات ويخوض عباب الاوقيانوس وهو في سجن اشغاله اليومية وضمن دائرة بيته الصغيرة · تسلط على الوحوش والطيور وسابق في طيرانه وسياحاته الشواهين والنسور · اخترق الجبال وقطع البحار واجتاز المسافات البعيدة على اجنحة البخار ومهد الصعوبات ولم تقف في وجهه العقبات وهو كل يوم يأتي بالغرائب ويظهر آيات ساحرات وعظيم العجائب

هو مخلوق عجيب · هيكل من تراب يضم بين جدرانه نفساً خالدة هي من نسمات الله تقوم به وتديره ويحيا بها ويتقوى ويسود على الخلائق

جماء . وهو بالوقت نفسه طالما حاربها ونازعها القوة والسلطه . وطالما شاء التغلب على مطاليبها السامية وهي تارة تقف ازاءه وقفة الشجاع الباسل وطوراً تضعف وتصغر لديه وتسلم مقاليد امرها اليه . فهو والحالة هذه واياها في حرب مستمر طوراً يظهر مظهر الرفيع وطوراً بظاهر الطفل الرضيع . طوراً تتمثل به العظمة وطوراً تسحقه اقل لطمه واصغر كلمة هو عظيم حقير وكبير صغير معاً وهو بالطبع يميل الى الخصام والسوء مع انه يتمنى السلام والخير ولا يتبعهما . هو ضعيف جداً وقوي جداً معاً وهو هو ما نعرفه بالانسان

عاش الانسان في العصور الخوالي طبيعياً غير مقاد بتقليد وغير مربوط بشرائع كالتي سنتها مدنية اليوم . وهو في اليوم الحاضر لم يزل كما كان يحارب الخير ويميل اليه ويكره الشر ويقدم عليه

هذه فطرته ولكن شتان بين من تهذبت فطرته ومن لم تمر عليها يد المثقي ....

شتان بين من ينشأ على محاربة الشر وفي محيط يحب الخير وبين من يطلق له العنان فيسير هائماً على وجهه لا يد تردعه ولا من يقوده الى طرق الامن والسلام

. . . .

يأتي هذا الانسان الارض صغيراً لا يعرف ما في العالم ولا ما شأنه فيه . فتأخذ الماجريات التي حوله تنطبع على زجاجة حافظته وتحفظ تلك الصور في مخيلته كمشاهد تلقنه ما يكون دوره على مسرح تمثيل رواية

هذا العالم

تأخذ نفسه بالتيقظ يوماً فيوماً وجسده بالنمو وتبتدئ اذ ذاك تظهر مطاليبه الولدية التي لا لجام لها ولا حد فيقاد بها وهو لا يعرف اين مصيره ولا ما هي وجهته . كل شيء امامه محدود وحياته كلها ساعته الحاضرة . وامنيته الحصول على كل ما هو امامه . وبعد تلك الدقائق والساعات يلج السجن مقاداً بعاطفة الام اذا غضت الطرف عن هفوته واهملت شأن تربيته . يقولون ان الحكومة تبني السجون فانا بعد هذا البحث ارى ان الامهات المتساهلات يشيدن وحدهن اركان السجون

الام تنظر الى طفلها بعين الحب الوالدي كملاك طاهر نقي لا ينقصه شيء من البرارة . تراه مثال الجمال وان كان اقبح من الجاحظ آية الذكاء وان كان اعيا من باقل . تصفه باجمل الصفات وان كان لا يعرف شيئاً منها . وان رأته مخطئاً تكذب نفسها وتقول : ولد طفل شو بده يصير «يصير رجال»

كما انه اذا انتقده احد يسوءها ذلك وتجتهد أن تقنع منتقده انه مخطيء بانتقاده

تظلله بعاطفتها غالباً وتنسى أن العاطفة لا تربي النفس ولا تهذب الاخلاق وتشفق عليه من مصاب اليوم غير حاسبة ان هذا الاشفاق نفسه لا يشفق عليها في الغد

تركته وشأنه كبناء يترك اساس بنائه معوجاً وضعيفاً ويتركه وشأنه عرضة للانواء والعواصف . وهكذا شب على اخلاق معوجة

واستمر في اعوجاجه فاصبحت حياته مرة ومركزه في العالم واه . ان احتقره الآخرون ونبذه الاهلون وربما اقتيد الى السجون او ربما قضى حياته اسير الاحزان واليف الشجون

جاز في نفسها السيف ولم يكن لجرحها من طبيب او علاج ، كان السبب في هذا الجرح وذلك السيف — هفوة صغيرة .

****

من طبع الانسان ان لا يكترث بالهفوة الصغيرة ولا يذكرها في مفكرات ضميره ، ولذلك تراه يكثر منها باعتقاده انها سهلة الشفاء وان بالزلات الكبيرة فقط سقوطه وشقاءه . مع انه لو درى نعرف ان كلمة واحدة فقط تجره الى الدمار ، ورب ابتسامة افضت الى دموع وخطوة ادت الى الحفرة .

على ان هفوات الناس نحو بعضهم تختلف تأثيراً واهمية ونوعاً . فمنها ما يقوض دعائم سعادة الانسان ومنها ما يتلاشى بمرور الايام فلا يبقى لذكرها من اثر .

منها ما يجرى كل يوم فلا يمس سعادة المجموع بل يتناول الفرد . ومنها ما يطحن حبات قلب المجموع بصدورها عن فرد في مجموع تعمل على اذيته فأذية من حوله وبأذيته تهوي بالاخرين الى ما لا يعرف له من الشقاء نهاية

وهذا النوع الاخير يجري كل يوم تحت سقف العائلة الواحدة التي يتألف منها مجموع الامم .

هفوة احد الزوجين التي يحسبها مبديها صغيرة قد تكون سبباً لانفصال الزوجين ولمحو عائلة وابادتها وايجاد جرح جديد في جسم الانسانية المتألمة فيجوز في نفسها السيف وليس لديها اذ ذاك من دواء

سر بناء العائلة ايها السادة سر عظيم خطير

قد يظن البعض ان تبادل الحب النوعي هو الضالة المنشودة للعائلة ولكن اتفاق الاراء ايضاً واتحاد الاخلاق هو السعادة المنشودة بعد الحب لان الحب هو الاساس وهو ميل طبيعي يعمل على اتحاد الاخلاق انما اتحاد الاخلاق لا يعمل على الحب الزوجي الذي بدونه لا ترضي اخلاق ولا حالة ولو مهما سمت وحسنت

فالزوجان المحبان تنقصهما سعادة اتفاق الاخلاق وتلك لا توجد بسهولة منذ اول يوم بعد الزفاف بل هي بنت التفاهم الذي لا يشرى ولا يباع الا بقوة الاتحاد والتمعن وطول الاناة ودرس الاخلاق درس من يفتش على سعادة حقيقية

بالحب وحده يرى الزوج زوجه كاملاً لا عيب فيه ويتطلب منها ان تكون الهاً لا بشراً حتى انها يخالها تفهم ما ينويه دون ان يتكلم وتعرف كل ما يعرفه هو من قواعد العلم وشرائع العالم والتقاليد والعادات دون ان تتعلم . وهي كذلك ترى به الكمال مجسماً وانه ملك القوة وآية الخبرة وفيلسوف العالم

ولهذا تراهما يريان هفوات بعضهما عظيمة ذلك لان كلا منهما يتطلب في رفيقه الكمال وان تغلبت عليه العاطفة . قد يسامحان بعضهما

لاول وهلة ويتسامحان بعد ذلك . ولكن هل تظنون ايها السادة ان هذا التسامح وهذا الاغضاء يطول عهده ؟

سؤال اطرحه على الازواج الخبيرين والزوجات الحازمات

ارى ان الاغلب يجاوبني ان هذا العهد لا يطول وان دام الحب فللحب حد وشروط وربما كانت القوة سبباً لضعف ذلك الحب واضمحلاله

كثيرون تزوجوا قلبياً لا عقلياً ولهؤلاء اقول :

اسعوا وراء التفاهم لان سوء التفاهم اصل التخاصم

يقول البعض ان الزوجين يجب ان يتفاهما قبل زواجهما ولهؤلاء اقول :

ان هذا من الامور الصعبة لان كلاً منهما يظهر في ايام الخطبة بمظهر وفتي جميل لا علاقة به مع حقيقة حاله وعلاوة عن هذا فقد تكون العين غامضة عن كل سيئة فلا يمكن التفاهم اذ ذاك والطور وقتئذ طور خيال لا طور حقيقة

ما من زوج في العالم تفاهم مع زوجه منذ ايام زواجهما . ولا من رجل يحسب نفسه سعيداً من هذه الوجهة دون خلاف او عتاب . وبعد هذا التفاهم تصفو سماء العائلة لان البناء الذي يبنى دون تحكيم وتعب لا يكون منيعاً والزهرة التي تنبت دون عناية ونصب تذبل سريعاً

العالم مدرسة واطوار الحياة هي الصفوف التي يرتقي فيها الانسان فطور الزيجة هو صف ذو دروس صعبة المأخذ ويلزمها اجتهاد وصبر وتدقيق

قال احد الفلاسفة : ان المرء ينتقل يوم زفافه اما الى الجحيم او الى النعيم . وقال آخر : اذا رمت السفر في البادية فصل مرة . وان رمت السفر في البحر فصلّ مرتين . اما اذا شئت الزواج فصل ثلاث مرات

المرأة مرآة الرجل ترى بعين قلبها ما لم يره هو بعين عقله . والرجل سراج المرأة ينير سبيلها فلا تخشى العثرة والاذية . وعلى هذه الشروط بنيت قاعدة العائلة وتلك القاعدة لا يدعمها الا الاخلاص المتبادل الذي يتطلب الاصلاح المتبادل وباصلاح العائلة تصلح الامة وبذلك السعادة

المرأة للرجل ام ثانية ومدرسة ثانية وهي هي بصبرها ودرايتها تصلح ما شذّ من اخلاقه . ومما يقال في الام من تساهلها مع طفلها يقال فيها ايضاً لان المرأة بتساهلها تقود زوجها الى الشر كما انها بضغطها الشديد تضعف قوة حنينه اليها وتعلقه بها

وكذلك الرجل الحكيم يصلح ما يرى باعتقاده هو في زوجه من الشذوذ بقوة برهانه وحسن ملاطفته لا باستبداده وسلطته لانه بذلك يخسر اعظم سعادة وهي حنين المرأة الذي يتولد منه حنانها النادر المثال . فتغدو حياتهما مرة وذكرى سعادتهما الماضية امرّ وابتساماتهما كزهور وضعت على ضريح عزيز

ما اجمل الرقة التي تمثلينها في دورك الجميل ايتها الزوجة المخلصة . لا تنظري الى انتقاد زوجك بعين الحقد فهو رفيقك الامين وهو الماشي معك في جهاد هذه الحياة جنباً لجنب يقاسمك الضراء ويحميك بسهره وجناحه الظليل . وهو من فضلك على سواك من بنات جنسك واجلسك

مالكة على عرش قلبه ونظر اليك نظرة الملاك النقي والانسان الكامل فلا تحنقي عليه بل اقبلي انتقاده بالشكر فما هو الا قوتك نفسها فلا يشاء ان يرى فيك الضعف . واعلمي ان بصبرك هذا تملكين ارادة زوجك وبحلمك تبرهنين له عن اخلاص وولاء هما ضالته المنشوده فيك . وخير لك ان ينتقدك هو من ان ينتقدك الغير وينسبون الى زوجك الضعف وعدم اهتمامه بامرك

لاحظي هفواته ولا تنتقديه امام سواه ولا في حين غضبه ذلك لان قوة الرجل حال خروجه عن طوره للعوامل الفعالة تنتج غيظاً شديداً هو قوة ايضاً لا يقوى اذ ذاك على كبح جماحها . واذا تناظرت القوتان كانتا جبلاً يلفظ ناراً لا يخمدها سوى ندى لطفك ومعين حلمك وسكونك . وحين يهدأ باله جردي سيف حكمتك وابسمي له وتعالي اليه لطف واظهري له غلطه باسلوب جميل وصوت ناعم خارج من اعماق القلب المحب - قلب المرأة --- ولا تيأسي اذا لم تنجحي اولاً فثانياً فثالثاً بل مارسي وانا اضمن لك الفوز الاخير

وما اقوله للمرأة اقوله للرجل راجية منه ان يترك اشطره الافضل مجالاً لتناظره في مملكتها الصغيرة وان يعطيها ما لها من الحقوق في بيتها مثلما يتطلب منها الواجبات ولا يكون هو السلطان المطلق والحاكم المستبد فيعمل على اماتة حاسياتها وارادتها ويصبح وحيداً في معيشته فريداً في آرائه . ومثله كمن يلاعب طفلاً في الشطرنج لا يفهم من آيات هذه الاحجية معنى . بل ليستعمل القوة التي يمثلها في دوره الجليل للحنان

والشجاعة لان الرجل لا يكون شجاعاً اذا اضطهد مناظراً اضعف منه وجار عليه شأن الجبان الغاشم

فالمرأة لم تخلق لتكون آلة صماء بيد زوجها كما ان الرجل لم يخلق ليكون مقيداً باوامر امرأته ولم يتزوجا ليموت احدهما ويحكم الآخر بامره ولا ليختصما كل ساعة ودقيقة دون فائدة ترجى ولا جدوى تنتظر بل تزوجا ليستعينا على الدهر

ليؤلفا من القوة والرقة خلاصة جميلة ولينشئا عائلة قوية · وكيف يتأتى ذلك والرجل مستبد والمرأة جاهلة ؟

أو كيف ننتظر من هذه العائلة رجالاً لمستقبلنا عظماء وذوي باس وعادلين ولم يطبع على مخيلتهم في صغرهم سوى صور الظلم والضعف والاستبداد ؟

لماذا لا نرى في المجموع السوري رجالاً اشداء وذوي مبادىء قوية ؟

لان العائلة السورية متضعضعة لا نظام فيها ولا شكل · فاما الرجل المستبد السليط واما المرأة المتغلبة الخارجة عن الطور الانثوي

لماذا لم يستقل السوري حتى اليوم ولم يصلح للحكم والقضاء ؟

لانه لم ير محكمة العدل في بيته ولم يعش تحت لواء الانصاف، كما أنه أجبر على الطاعة العمياء كما اجبرت امه قبله وكما رأى اباه مستسلماً لمشورة الاخرين لا قوام لذاته بذاته ولا يعرف ان يعتمد على نفسه

نعم ايها السادة لنتطلب رجالاً يحسنون اعطاء القدوة لصغارهم

ولتتطلب نساء بحسن معاملة ازواجهن وتربية بنيهن . ولنسع لايجاد تلك الضالة المنشودة اي التربية القويمة في اولادنا بواسطة العائلة اولاً والمدارس المهذبة ثانياً ليكونوا كما يجب فيرفعون الامة ويبددون ظلامها ويخرجون من اعماق نفسها السيف الذي غرزته يد الظلم والجهل القديم

حقايق ورسوم

وهو الخطاب الذي القي افتتاحاً لتمثيل رواية بدعوة من جوق الممثلين الذي قدم من عاصمة الاتحاد (ريو دي جانيرو)

ايها السادة

اراني لديكم في هذا الموقف كشاوول بين الانبياء ولكن حب اغتنام الفرص يشفع بي لديكم والفرصة ثمينة لخدمة الفريقين وللمذاكرة مع لفيفكم الموقر بشأن تأييد الحقائق وحفظ الرسوم

....

مرَّ سائح بنزل منفرد في البرية وحلَّ فيه ضيفاً تلك الليلة ولما اشرقت شمس الصباح عوَّل على المسير · فاتاه صاحب النزل طالباً اليه ان يترك له رسمه الفوتوغرافي · فاستغرب السائح ذلك وقال

— وما القصد من ذلك ؟

— القصد حسن يا سيدي وما هو الا حفظ رسم كل نزيل يبيت عندنا ويحلُّ بنا ضيفاً ولو ساعة

— حسن وما المنفعة من هذه الرسوم ؟

— ذكرى مؤبدة جميلة تحفظها السنون لحركة نزلنا ومعرفة من تعاملنا معهم في سنينا الماضية والحاضرة

— أوَ هل تكون الذكرى جميلة بمجرد وجود رسوم وجوه واجسام نزلائكم فقط ؟

— أجل

قهقه السائح ضاحكاً وقال،

لا رسم عني لوجهي ولكنني اترك لك رسماً ابقى والذ تحفظه الاجيال في سجلاتها غير البالية

قال هذا واخذ ورقة وقلماً وخط هذه العبارة : «عشت بين الناس بعيداً عن الناس فقرّبني الناس»

ثم وقّع اسمه في اسفل الورقة وسلمها لصاحب النزل وقال:

تركت لك رسم النفس والعقل وصورة المبادئ والمعيشة التي اعيشها وبها تجد لي ذكرى في نزلك

ثم سافر وترك الفندقي حائراً يفكر في امر السائح الغريب

. . . .

اجل ايها السادة !

وُجد هذا الكائن العظيم الناطق تحت سماء هذا الوجود وما هو الا نسمة من رياض الازل ارسلتها العناية الى ذلك الشكل المحدود لتقوم به ولتسود على جماعات الغبراء وممالكها المختلفة نوعاً ومعنى

وجد على مسرح الحياة صغيراً ودرج طفلاً ونشأ يافعاً وترعرع شاباً وكدّ رجلاً واهتمّ كهلاً ولعب شيخاً وسقم عجوزاً وانحنى مسناً ورقد فانياً فمثل بسياحته هذه ادواره المختلفة على مرسح حياته وانهي

فصوله المتتابعة . نزل بنا اليوم وبرحنا غداً واقام بيننا البارح وذهب اليوم بسم بنا الصباح وبكى في العشية ، رقص في الضحى وقفز في الظهيرة وكلّ في المساء واعيا في الظلام . فكان ممثلاً عظيماً تديره الاقدار وتؤثر عليه الانواء وتقوده الايام وتتغلب عليه الحوادث واخيراً ذهب ولم يترك لمن رآه وعرفه سوى رسوم فرهت الحقائق وعظمت الرسوم ونامت الحقائق واستفاقت الرسوم وبادت الحقائق وعاشت الرسوم . ولقد قال المرحوم اليازجي ، تمضي الحقائق والرسوم تقيم

جاء يوليوس قيصر فمثل على عرش عظمته القوة والشجاعة والاقدام وجاء هنيبال الفينيقي فمثل دور العزيمة والنشاط والبسالة فصفقت له يد الليالي ، وجاء نابوليون فمثل دور الاعتماد على النفس وتجسم المخاطر والاهوال والمطامع النبيلة

جاء جورج واشنطون فمثل دور الاستقامة وترك للعالم امثولة الصدق والجرأة

جاء ابرهيم لنكان فمثل بدوره دور الشهامة والعدالة والحنان . وجاء غيرهم من العظماء الذين لعبوا على مرسح وجودهم ادوار الفضيلة والحسنى وقاموا بمهمة انتخبتهم لاجلها العناية فتركوا ذكرى خالدة مجيدة فماتوا ولن يموتوا . اندثرت حقائقهم فقامت رسومها وما رسومها الا دروس مفيدة وعبر تركوها للعالم الباقي ليسير بموجبها

مثّل يهوذا الاسخريوطي دور الخيانة والغدر . وجاء غيره فمثل ذلك التمثيل وكذلك مثّلت سميراميس دور ترجلها ومطامع نفسها ومثل

سواها من الجنس اللطيف ادواراً وقف القلم عن ايفاء وصفها حقه

رحى الكون تدور بالمخلوقات فترفع الستار عن فظائع وجرائم تذوب لهولها الصخور . ثم يظهر الفصل الثاني وفيه من المشاهد الجميلة والحوادث البهية ما يزحزح الكربة عن النفس وهكذا تسير المخلوقات على نظامها الذي تديره الاقدار ولا تترك للعالم الا صوراً مختلفة الشكل والمغزى . سار سوانا ونسير ويسير ابناؤنا بعدنا واحفادنا بعدهم . وما الحياة الا سلسلة مرتبطة الحلقات وروايات مختلفة الفصول والمشاهد مثّل بعضها الاقدمون وجئنا نحن بدورنا نقوم بتمثيل بعضها

تمضي الحقائق والرسوم تقيم

أجل . تختلف الرسوم باختلاف تلك الحقائق . والتقليد ينقل عن الماضي ما كان للحاضر فيقتدي بحسناه وينبذ السيء

. . . .

جاء المسيح موسس النصرانية وعظيم البشرية وعلم تعاليم فلسفية سامية عظيمة لشعب بسيط امي وكيف ذلك ؟

جاءهم بامثال بسيطة سهلة وروايات قريبة المأخذ وسكبها لهم بقالب روائي يفهمونه فاتعظوا وآمنوا به وتبعوه من القرى والمدن والسهول والجبال

دخلت الديانة المسيحية الى العالم ، الى الامم الوثنية الصعبة المراس ، فاتخذ الرسل خطة معلمهم واخذوا بالتبشير بواسطة الامثال والحكايات واذ اضطهدت الديانة المسيحية اخذت المجامع المسكونية والمكانية باخذ

صور المجاهدين والشهداء حال اقتبالهم الآلام اتبقيهـا امثولة وذكرى للموعظين المتنصرين . وهذا كان سبب ادخال الايقونات الى الكنيسة واكرام المسيحيين لها

ذلك لان الرسم النظري يوءثر على النفس اكثر من السماعي . والاسلوب الروائي يفعل في النفس اكثر من التعليمي وهكذا اتبع الناس ايراد الحقائق في قالب الرسوم لتترك في قلوب طالبيها عبرة اعظم وذكرى خالدة

فالتصوير وتأليف الروايات وبراعة الريشة واليراع همـا عظيمان واساسيان ولكنها خضعا ووقفا امام الفن الثالث الذي هو صورة التصوير ولسان التأليف او بالحري هو صورة طبق الاصل لحقائق الامس تنشر نظريـاً وسماعياً على مراسح الاجتماع ألا وهو فن التمثيل . التمثيل هو الحقيقة النائمة التي طواها الليل البارح

هو الحياة باسرهـا على المرسح تقل الينا بصور حية واصوات غير تقليدية ماجريات الزمان وتقلبات الانواء

هو الفن الذي عرفه المصريون منذ القدم وعظمه الرومانيون وفاخر بـه اليونان . وهو هو الفن الذي بحث عنه ايضاً القرن العشرون فسعى لانهاضه بعد سقوطه واستاهلت لاجله ساره برنار ان يوقع على مروحتهـا ملوك اوروبا آيات اعجابهم بها واحترامهم لاتقانها اياه

وهو الذي يصور الفضيلة بابهى معانيها فنتوق اليها ويشهر الرذيـلة باشنع مشاهدها فننفر منها

ويسرنا ان نرى في المهجر لجاناً وفئات تألفت لاحياء هـذا الفن وترقيته منها الجوق الذي سيقوم هذا المساء بتمثيل رواية لصوص الغاب وقد جاء سان باولو من عاصمة الاتحاد اعتماداً على غيرة الجالية السنبولوية المزيزة وتيقناً منه بتشجيعها كل نهضة عمرانية وعمل مفيد

فانا بدوري امثل احترامي لهذا الفن وشكري للقائمين بخدمتـه واشكر الظروف التي خولتني خدمة مقدري الفنون الجميلة ان من الضيوف الكرام أو من المضيفين الاعزاء راجية ان يخرج الفريقان مسرورين وان تعم الفائدة وتتقوى روابط محبة خدمة العموم والسلام

من هو السارق ؟

القي في حفلة جمعية ملجأ اليتيم سنة ١٩٢٣

ايها المحفل الموقر

كانت الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين الرابع عشر من شهر كانون الثاني وقد غصت قاعة المحكمة بالنساء والرجال الذين حضروا لاستماع حكاية السارق الذي سيحكم عليه ثلاث سنوات لانه سرق ...

ولكن ماذا سرق ؟

سرق زجاجة حليب كانت مغروزة بالثلج امام باب احد الاغنياء

....

قد يدهش الجمهور الموقر قولي ثلاث سنوات كقولي لسرقة زجاجة حليب انها خمسة سنتات او ما يعادل غرشاً وربع غرش عملة سورية

فكم كان يدهشه قولي لو قلت ان سرقة الفرس من مزرعة صغيرة عقابها الموت في بعض الولايات المتحدة مع ان عقوبة الجريمة ذاتها في ولاية نيويورك لا تزيد عن اربع سنوات فما دون

....

تنظر الحكومة الى سرقة زجاجة الحليب والفرس من مزرعة كسرقة تنتج موت طفل ينتظر الحليب الضروري لحياته ليتناوله في ساعات معينة من

الطبيب وموت مزارع ألمّ به مرض يقتضي حضور الطبيب بسرعة ولا مطية عنده غيرها تحمله الى المكان المقيم فيه النطاسي

. . . .

جريمة هائلة – بل فظيعة – هي سرقة زجاجة الحليب بعرف الاميركيين

. . . .

دخل القاضي بهو العدالة وصعد على الدرجات الموصلة الى منصّة الحكم وجلس على كرسيه وفتح الكتاب وقرأ الاسم الاول ونظر لى المدعي العمومي وقال :

وهل انتم على استعداد لمحاكمة حنا كلارك ؟

– نعم يا فضيلة القاضي

– فادع المتهم

– حنا كلارك !

وقف المتهم ضمن قفصه الحديدي الكائن في وسط المحكمة وواجه عرش القضاء الرهيب واجاب بصوت مضطرب : ها انا يا سيدي

– انت متهم من المدعي العمومي بسرقه زجاجة حليب من امام باب السيد فلان فما تقول – أمذنب انت ام بريء ؟

– مذنب يا سيدي استحق العقاب

– ألا تريد ان تقول شيئاً يبرر جريمتك ليخفف عنك وطأة القصاص ؟

ـ اريد ان اقول ۰۰۰۰۰۰۰ اقول ۰ اقول ۰ يا سيدي القاضي ۰ ان العقاب لا يروعني طالما علمت ان حياة طفلتي الوحيدة قد تملصت من براثن الخطر بثلاث سنوات من حياة ابيها

ـ وأية علاقة لطفلتك الوحيدة بالجريمة ؟

ـ اعلم يا سيدي القاضي اني كنت عاملاً في احد معامل هذه المدينة حائزاً على رضى رئيسي ومشهوداً لي بالاستقامة من زملائي انفق ما اجنيه على راحة قرينتي وطفلتي الوحيدة ۰ فحدث ان طفلتي الم بها مرض التهاب السحايا واضطررت الى ملازمة البيت فاشغل صاحب المعمل محلي برجل آخر وانقطع خيط الرجاء الاخير الذي كنت اعتمده متى احتجت الى نفقة

بعت ساعتي ۰ عصاي ۰ كتبي والكرسي الهزاز الوحيد لاشتري ما يلزم طفلتي من العلاج

وحدث ان الطبيب اتى ولم يكن لدي من النقود الا ثمن ما وصفه من العلاج ولكنه امر حتماً بمزج العلاج بالحليب والا فلا نجاة للطفلة من الموت

الوقت ليل وليس لي ما اشتري به الحليب المطلوب ۰ أفلا اسرق يا فضيلة القاضي ؟ أأحجم عن ابتياع حياة بتمامها بثلاث سنوات من حياتي ؟

نعم سرقت ۰ يا سيدي ولكنني لست بآسف لانني انقذت حياة حياتي وقنديل بيتي وبهجة زوجتي ۰ فلينظر الي العالم كسارق اذا شاء

فلا اخجل لاني سرقت ما اموت لاغني بـه الحياة فالفظ حكمك يا سيدي ولا تشفق عليّ ولكن لا تنس يا سيدي القول المأثور : ضع نفسك مكاني

....

اغرورقت عينا القاضي بالدموع والقى المدعي العمومي الاوراق التي كانت في يديه على الطاولة التي امامه وغطى وجهه بكفيه وسمعت ضجة مختلفة في البهو تلاها همس ولغط وبكاء

اراد حافظ النظام في المحكمة تنبيه الحضور الى السكون والاحترام فخنقتهم العبرات وخرجت كلماتهم متقطعة مضطربة فلم تفهم ......

زجاجة الحليب سرقت

السرقة جريمة

طفلة الرجل تبرر عمله

فمن هو السارق

؟

السارق هو ذلك الغني صاحب المعمل الذي ابى قلبه القاسي ابقاء الرجل في خدمته ابّان مرض ابنته وتسليفه ما يستوفيه منه بعد ابلال ابنتــه

هذا حكم الجميع . وهذا حكمكم ايها السادة على ان حكمكم وحكمي وحكم الجميع لا يرضي القانون ويخالف النص القائل : العقوبــة تقع على الجاني الذي تثبت عليه الجناية بشهاده عيانية او شهاده ظرفية تشير بدلائل

الحال الى انه الجاني دون ان يراه احد يقوم بها

....

نسمع بوقوع جناية ونرى الجاني يقاد الى السجن مكبلاً بالقيود بين صفين من الجنود فترعشنا رؤيته ونشعر ببغضه في قلوبنا وتشمل نفوسنا شماتة به ونأسف، لان القاضي لم يحكم عليه باكثر ولكن هل هو الجاني الحقيقي ؟

هل هو السارق ؟

اسمعوا ما يقول فيكتور هوغو الرقيق القلب :

« لا تلم الاشرار لعل لهم عذراً »

ويا ليته قال : — لا تحكم على من يسميهم العالم اشراراً فربّ قاتل غير قاتل وربّ سارق غير سارق

فمن هو السارق ؟

السرقة ايها المحفل الموقر لا تعني من سلب السوى ماله او من دخل دار جاره واختلس بضع دراهم او لقيمات لسد حاجته وعوزه فقط بل السرقة هي كل ما يختلسه الانسان من مكانه ان لنفسه او لسواها هي وضع الشيء في غير محله وهي حرمان مخلوق من مركز او احترام او هناء كانت الاقدار خلقته لاجلها او اوجدته لاجلها · والسارق قد يكون عظيماً في قومه ومرئياً بعين الحشمة والتجلة وقد يكون من يراه الناس سارقاً وحقيراً هو غير سارق وليس بلص

....

من هو السارق ؟

انظروا بربكم الى ذلك العامل المسكين وقد نهض من فراشه قبل شق الفجر حيث ترك زوجته وصغاره نائمين وقد شرب فنجان قهوته مع اسراع نبضات قلبه لان المعمل اخذ بايقاظ عامليه بصفيره واجراسه . وقد اسرع لاستلام شغله واكبّ على عمله حتى المساء فعاد منهوك القوى حيث وجد عائلته تنتظره وبيده الخبز او الحليب

بينما كان صاحب المعمل ناعم البال ينام الى ضحى والخدم تهيء له الوان الطعام على مائدته واولاده يتنعمون بالملابس الفاخرة والمآكل الشهية

ذاك يشقى — وهذا يسعد

ذاك يجوع — وهذا يشبع

ذاك يشتغل — وهذا يربح

ذاك يكد - وهذا يستريح

فمن هو السارق ؟

. . . .

قد تعترضون عليَّ ايها السادة بقولكم ان صاحب المعمل شاد المعمل بدراهمه وسهره على احياء معمله وان العامل يشتغل مقابل اجرة رضي بها فما هي سرقة الرئيس وكيف يكون سارقاً ؟

اقول . أجل

لو عدل الرئيس بعماله لما جاع عامله . ولو انصف باعطاء الاجرة

التي يستحقها العامل لما شكا الفقير · لان على الايدي العاملة وعلى هذه الفئة البائسة يتوقف نجاح اشغاله ويكفل مستقبله الباهر ولو سار مديرو الاعمال ورؤساؤها على خطة العدالة والانصاف والرحمة لما بقيت بأساء في العالم

.....

هذا بشأن العامل ولنبحث الآن بشأن التاجر السارق

قد يظن البعض انني اقصد جرح احساسات بعض افراد ممن جنوا على السوى بمعاملاتهم التجارية وساروا بطريقة غير مطروقة في تجارتهم فانا اكشف الغطاء عن قصدي بقولي « التاجر السارق » ومتى عرفوا ما اقصد امنوا على كلامي وذكر علّ تنفع الذكرى

....

التاجر السارق هو من يسلب نفسه كل راحة ان في نهاره او ليله فكره رحى دائبة الدوران لا تقف عند حد · حياته دائماً في اضطراب وهواجسه كثيرة · نفسه تحتاج الى غذاء روحي بمطالعة مفيدة او حديث شهي · ولكن انصرافه وراء التجارة انساه تلك اللذة الجليلة

امرأته تحتاج الى من يبادلها الافكار بشأن مستقبل بنيها واولاده يتمنون ان يلاعبوه وان يبادلهم السرور بالعابهم الولدية وهو عنهم لاهٍ واسعار « الفازندا والارمارينيو » في صعود والليرة تصعد وتنزل وانى له وقت لمعاشرة هؤلاء « الباردين » · قلبه يضطرب ودماء قلبه تشكو من سرعة الجري غير المرتب ودماغه يصرخ المدد لان الضغط شدّ الخناق وهو

لا يعي الا على دفاتره وعملائه وو . . . .

أفاليس هذا بسارق اداكم الله؟ يسرق من نفسه الراحة ومن امرأته وبنيه السرور ومن جسده الصحة وهو يعد نفسه من المجتهدين العاملين مع ان كثرة الجري بدون ترتيب وراحة تؤدي الى الوقوف الفجائي فيحدث ما لا تحمد عقباه حيث لا ينفع الندم

من هو السارق ؟

هو ذلك الوالد المدعي الحنان الذي يفضل المقهى والملاهي عن مسامرة بنيه ومعاشرتهم فيكون بعمله هذا قد سرق من بنيه اعز ما لديهم وهو التلذذ بعناية الوالد

من هو السارق ؟

هو ذلك الزوج الذي يسرق محبة قرينته الصافية الطاهرة ويبادلها الخشونة والتغاضي بينما هي تخلص المودة تراه يسرق من حيث لا تدري هي فيسرق ابتسامتها ويسبب لها الدمعة والقهر ويسلبها نضارة شبابها ورواء سحنتها وربيع حياتها

من هو السارق ؟

هي تلك الام التي تقضي ساعات فراغها امام المرآة للعناية بتزيين وجهها وتدهينه وتقتل ساعات ليلها في السينما . صغارها ينتظرون قبلة من مصدر الحنان الحقيقي وهم في حاجة الى من يأنسون به وقد ملوا معاشرة الخدم والجواري . أفلا تدعي بحق أم مثل هذه سارقة ؟

اجل ايها السادة :

ان تلك العروش المشيّدة على جماجم الابرياء وتلك التيجان المثقلة بدموع البائسين قد بنتها السرقة سرقة الشعب الآمن رجاله وتضحية شبان الامة في سبيل الحصول على قطعة ارض يحكمون بها بقوتهم لا بعدلهم -- اولئك هم السرقة

اجل ! وليس من سرق زجاجة الحليب وحكمت عليه المحكمة بالسجن بعرف العدالة الحقيقية هو السارق

سارق الرغيف لسد الرمق ليس بسارق ولكن السارق من يقدر على العمل ولا يعمل بل يصبح بكسله عالة على كاهل الامة . السارق من يقدر ان يفيد سواه ولا يعمل ومن يقدر ان ينجي نفساً من الموت ولا يفعل . السارق من يدعي الاخلاص لصديقه ويحجم عن اصلاح خلل فيه . والسارق من يعتدي على جاره الآمن بسلب شرفه وسمعته ومن يجسر ان يعكر صفاء عيش رفيقه وابن بجدته

الخلاصة ايها السادة ان بين الناس من يسميهم البعض الآخر لصوصاً وسرقة وهم في عرف الشريعة والعدالة والنزاهة ابرياء من تلك التهمة بينما من تخرّ لهم الاقوام وتنحني امامهم الاعناق هم لصوص ومجرمون تتبرأ منهم الانسانية وتخجل بهم الهيئات العاملة . ولا يسعني في هذا المقام الا ان اذكر القوم بسارق هو اعظم جرماً من سواه ذلك الذي يقدر ان يساعد ملتجأ ليتيم ليسقيه كاس ماء بارد ولا يفعل فهذا قد سرق العاني الصغير رغيفاً ليضيفه الى مائدته المثقلة بالالوان . عسى ان لا يكون بيننا

من هذا النوع الاخير الذي هو ضربة على نفسه وعلى ذويه وعلى الانسانية جمعاء والسلام لمن اتبع الهدى

جمعية ملجا اليتيم

هي جمعية للسيدات الحمصيات انشئت بعد انتهاء الحرب الكونية للعناية بامر اليتيم في حمص وهي جمعيـة نشيطة تعمل باخلاص و بالرغم من حداثة سنها تمكنت من مساعدة ميتم حمص في حمص والميتم السوري في سان باولو البرازيل

من الضعف قوة

الخطاب الذي القي في حفلة جمعية الشبيبة الحمصية الزاهرة

سنة ١٩١٧

ايها المحفل الموقر

شاءت الجمعية الزاهرة صاحبة هذه الحفلة الشائقة الا تعفيني من كلمة في هذا المقام الجليل ولهذا تروني ملبية طلبها رغماً من حالتي الصحية مراعية صوت الجمعية كمعرفة واجب نحو من لها المآتي الجليلة والاعمال المجيدة في حقل الانسانية · متخذة من الضعف قوة ابحث فيها عن القوة الناتجة عن الضعف، و الضعف المتحول الى قوة فاقول :

العالم فريقان : فريق يعيش ليموت وفريق يموت ليحيا · وكل منهما وجد على مسرح هذا الوجود ليمثل دوراً عظيماً تختلف فصوله حسب اختلاف تطوره · من مادة ونسمة حياة تكوّن هذا الكائن العظيم الذي نراه سابحاً في يم هذا الوجود تارة يناطح السحاب بافكاره وطوراً يخوض المعامع باوهامه · حيناً يتغلب على المنايا بتصوراته وتارة يعلو قمة المجد باحلامه

ذلك الكائن العظيم الذي حارت في تحديد ماهيته ألباب المفكرين ووهت امام سر وجوده اعاظم قوى المحنكين · ذلك الانسان الذي وجد وعاش فمات وقد مات ليحيا وعاش ليموت وفي كل يوم لنا من قوته

ضعف ومن ضعفه قوة . صارع الصعاب فتغلب عليها وعبست له الاقدار فخرَّ امامها . بسمت له الاحلام فسار لا يلوي على شيء وعاكسته الايام فعاد من نصف الطريق ونسي انه سار بالامس وراء امنيته القصوى دائساً اشواك الحياة . واليوم ضعفت قواه امام المعاكسة فقتل اعظم امانيه واضاع بضعفه آمال قوته

حارت الاجيال في كيفية هذا المخلوق العظيم الحقير والقوي الضعيف ولكنها وقفت امامه بنظرة الدارس المتأمل ففقهت اخيراً شيئاً من معانيه

عرفت ان للمادة قوة عظمى تتغلب على الروح وان الروح وان تكن هي الافضل والابقى الا انها بانحجابها وعدم هيوليتها تصبح بحكم الظاهر سجينة في قفصها الخزفي فهي ذات مطاليب سامية وآمال بعيدة ولكنها لا تحصل على ذلك الا بوساطة ذلك الشكل الذي هو آلة لها في مسيرها ومن طبع المادة الضعف . وانظروا يا رعاكم الله كيف تكون نتائج وجود ضعيف بحكم الضرورة يتسلط على القوي . ويا لله من اقدار توجد الضعفاء في مركز الاقوياء . حرب دائمة تصلى نيرانها بين الروح والجسد وقوى تتحطم تحت اقدام ضعف الجسد فتسحق الروح كما تسحق لؤلؤة ثمينة في كف طفل صغير يلعب بها

وليس للانسان مهرب من هذه النتيجة او نجاة من دوام هذه الحرب الا بتهذيب المادة منذ ليونتها وتقويم اعوجاج الصغار منذ نشأتهم . هذا ما وصل اليه الباحثون من تغلب القوة على الضعف في الانسان ومن قلع اشواك الشر وزوان الشقاء من حقل البشرية المتألمة

قد يولد الانسان قوياً بالروح فيقاد بالفطرة الى الضعف البشري ان اهمل شأنه . وقد يصبح شاباً وهو كذلك فتؤثر عليه المعاشرة الحسنة وترسخ في اذنه الآراء الجيدة فيتغلب في صيف حياته على ضعفه الفطري ويعود الى قوته المسلوبة فيموت ليحيا . اي بموته واحتماله صعاب المعاكسات وانواء الحياة يصبح حياً في ذكراه المجيدة ويخلد له الاسم الطيب الباقي .

وقد يولد قوياً فتهمله التربية والمعاشرة ويقاد بحكم الضعف الى هوة مظاهر الحياة الخادعة فقط فهو يعيش ليأكل ويشرب ويلبس ويجمع ويبني وهذا لا حياة له في وجوده ولا بعد مماته . لانه عاش لنفسه ولم يترك نسمة من حياته الحقيقية لسواه .

ما الفائدة من اجسام قوية تطوي الحديد وتحطم الجدران وهي تضم ارواحاً ضعيفـة لا مقدرة لها على كسر خصام او نسيان اساءة الآخرين ؟

ما الفائدة من الجيوب الملآنة من الاصفر الرنان وهي تستر قلوبـاً فارغة من الاشفاق والحنان ؟

ما الفائدة من الوجوه المشرقة والابتسامات الكاذبة وهي تخـفي وراءها ادمغة نائمة خاملة لا فكرة جديدة تنبهها ولا رأي سديد يحييها

ما الفائدة من عضو عائـلة يلتحف بالكسل ويرتدي بعدم التدبير وصغاره وذووه يتهددهم الفقر القريب والشقاء العاجل .

ما هي القوة التي يفاخر بها ذووها ان كانت غير مستمدة من الضعف ! أو هل يوجد ضعف ما لا يقدر الانسان ان يتغلب عليه بقوة

الارادة

في هذا المضمار تعرف الارواح الراقية التي وجدت في ميدان هذه الحياة لتتغلب على الضعف بصبرها وثبات جأشها · تلك هي الاشعة التي تنير سبل حياة ذوي البأساء وتلك هي اليد التي تتمكن من تحويل شقاء العالم الى سعادة · تلك هي القوى الغير المحدوده وغير المدركة وهي التي اوجدت وحفظت وسارت باعضاء هذه الجمعية الراقية الى المحطة العاشرة حيث قامت وتقوم بافضل قوة تمحو ظلام التعس عن الانسانية وتهب الضعيف قوة من رقة عاطفتها وثبات مبدأها وقوة ارادتها · هذه الجمعية التي كما صادفت تنشيطات من البعض صادفت ايضاً معاكسات كثيرة في مراحلها ولكنها كانت لديها كنقط المطر على ازاهر الربيع تلويها ولكنها لا تفرقها بل بالحري تنعشها وتنشطها · هي الجمعية التي بكت مع كثيرين واتت باعمال تبسم لها رياض البشرية الذاوية من حر المظالم · تلك تقترح اليوم ان يكون لها من الضعف ايضاً قوة اي ان يتألف من الجنس اللطيف جمعية حمصية شقيقة لها تسير معها في مبراتها وتساعدها في جهادها جنباً الى جنب · جمعية نسائية تضمد بيدها الرقيقة ما تحتاج اليه يد النشاط فيتحد العقل والقلب وتمزج القوة بالرقة وتكون شمساً امام ذلك القمر الساطع في جو الرحمة

فهل لسيدات الوطن الكريمات ان ينشطن ويبادرن الى هذا السباق الجميل الجليل · وهل للمجموع الكريم ان يحبذ هذه الفكرة ويخرجها الى حيز العمل لان القوة بالضعف تكمل

جمعية الشبيبة الحمصية جمعية
ناهضة عاملة لها في تاريخ المهاجر
ذكرى مجيدة انشئت من
خيرة شبيبتها وقد سارت بنشاط
حتى اوجدت ميتما في سان
باولو واليوم تظلل بعنايتها ذلك
الميتم وهو المعروف بالميتم
السوري

الراية الخالدة

خطاب القي في حفلة ملجأ اليتيم للسيدات الحمصيات

في ٩ كانون الثاني عام ١٩٢١

باسم حمص وباسم كل يتيم وعجيٍّ جنت عليه المنيّه
باسم فادٍ اقام طفلاً صغيراً كمثال المنازل السمويّه
باسم ملجا اليتيم اهدي كراماً شرّفونا تحية قلبيّه

ايها المحفل الموقر

احييكم واحيي فيكم المروءة والشفقة

احييكم باسمي وباسم الانسانية التي تنتصرون لها

احييكم باسم وطن يحنُّ اليكم وتحنون عليه

احييكم باسم حمص التي حوّلتم بعنايتكم بؤسها الى هناء وتعسها الى صفاء

احييكم باسم مدينة حولتم بالاهتمام وعورتها الى سهول وسهولها الى رياض ورياضها الى جنات زاهرات وزهورها الى ثمار ناضجات

احييكم باسم فئة صغار قضى عليها القدر ان توجد انشقى فحولتم شقاءها الى هناء وجحيمها الى نعيم

احييكم باسم ازهار لا اوراق لها كنتم لها الستر الواقي · احييكم

باسم من نشفتم دموعهم بشموس ابتساماتكم وباسم من رسمتم على ثغورهم بسمات نقيه بنقاء قلوبكم

احييكم ويحييكم ملاك الرحمة من سماء ذلك الوطن وتحييكم ارواح ساكني العلاء لعنايتكم بالبقية الباقية التي تركت في العاصفة فكنتم لها الميناء الامين وشددتم لها بحنانكم واحسانكم الملجأ الحصين

تحييكم روح الأم التائهة في الفضاء التي قضت جوعاً لاستبقاء صغير تعولون عنها اليوم بالعناية به . تحييكم روح الشيخ الكفيف الذي قضى بين احفاده حزناً عليهم

تحييكم نجوم السماء التي هي بمثابة عيون حنان الله تنظر اعمالكم وتسجل لكم في سجل اورشليم الجديدة آيات الثناء الازلية وترفع لكم حصون صهيون السماوية الراية المجيدة الخالدة

....

الراية الخالدة . ما الراية الخالدة

وما ادراكم ما الراية الخالدة

قد يظن البعض انني اقصد برايتي هذه الراية المحوكة من خيوط المطامع . او المنسوجة من دماء الابرياء . او المحبوكة بلآلئ دموع المظلومين . او الخافقة في سماء الاستبداد . كلا

او قد يخيل الى البعض انني اقصد راية اخترعها المفكرون او رسمها الماهرون او نقشها او عززها الظافرون ؟

كلا ايها السادة · لا اعني الرايـة التي تكرمها الشفاه وتجثو امامها الركب وتمزقها الاحقاد والضغائن

بل الراية التي اعني والتي نظللنا هذا المساء والتي جمعت بين اختلاف المشارب والاذواق · هي راية الرايات وعلم الاعلام ......

هي ولا ابالغ يا قوم ان قلت انها العامل على حفظ كيان هذه المملكة العظمى مملكة العالم باسرها وهي المحوكة من الياف القلوب فهي خالدة ابدية الخفوق في جو الغلبة لا ترى الا في مواقف الجهاد الحقيقي

مجدها ازليٌّ وعزهـا سرمديٌّ لا تبللها امطار ولا تمزقها رياح ولا تعبث بها عواصف ولا تحركها زوابع

هي من صنع الله لا من صنع البشر وهي صورة الخالق الابديـة في خلقه

....

أجل ايها السادة

العالم كبير .... تختبط فيه ارواح الطامعين وتتسابق في ميادينه نفوس الآملين · قد يحيا البعض ليأكل · وقـد يأكل البعض ليحيا · قد يظفر منا الآمل ببغيـة · وقد يموت الكثيرون دون ارب · قد تهدم صروح مجـد في لحظة · وقد تحيا آمال بعد موتها · قد يهلك الصحيح ويشفى السقيم · قد يعلو الوضيع ويهوي الرفيع .... العالم كبير تعترك الافراد في ساحة ميدانه الفسيح وتسير الكتائب وتلتحم الفرق

وتتزاحم الاقدام · وفي جو تلك الحرب لا تخفق الا الرايـة العظمى التي تسير بالبشرية الى السلام والى الاسعاد والى قمة المجد ......

......

قال الفيلسوف الروسي : لا حياة بلا صديق

وقال الفيلسوف الافرنسي : الصداقة العظيمة في النفوس العظيمة

وقال آخر : الحنان زينة الانسان

وقال آخر : الرقة عين الفضيلة

وقال آخر : الغيرة حلية الرجال

وقال سواهم : المروءة مجد الابطال

وما كل هذه الصفات الجلى ايها السادة سوى نبتات ظهرت في روضة القلب كلها اغتذت بدموع الاخلاص وكلها فروع لارومة واحدة نبيلة الاصول وتلك الارومة هي ما نعرفه ونعبر عنه بالعاطفة

عطف عليه فهو ذو شعور حي يشعر مع الآخرين ويهتم بضمد جراح البائسين · له نفس تتألم ومن لا يتألم لا يجوز ان يسمى انساناً

العاطفة ابهى ما في الوجود وأجل مواهب الله فمنها وبها واليها جل الفضائل ونبيل المآتي

العاطفه تبكي والعين التي لا تبكي هي كالشجرة العظيمه التي لا تعطي ثمراً

الحقيقة تختفي في ظلال العاطفـة فترسمها الدموع على الاجفان لان

الدموع هي خلاصة مزيج طبخته النوائب وانضجته الاحزان فاتى بندى صافٍ هو صورة الحقيقة المدفونة

العاطفة تصفح والنفس التي لا تصفح هي صخرية لا نبع ماء يجري فيها لتبريد غلة العطشان

العاطفة شعاع يخرق ظلمات التعس فينير سبيل ذوي البأساء ومن لا يسير في نور هذا الشعاع لا يرى ما خلق ليراه

اقول العاطفة ولا اقصد بذلك الميل المجرد الى حسن وقبيح او جماح الارادة الى ما وراء الحدود . كلا ايها السادة . بل اعني بالعاطفة ذلك الحنين السامي . ذلك الحنان النبيل . تلك الشفقة الالهية . تلك الرقة الخالصة . تلك النبضات الحية التي تنبض في القلب الكبير لتسقي شرايين البشرية عناية وماء حياة

ذلك النبع المتدفقة منه خيرات الاحسان . وقيمة الانسان ما يحسنه

تعالوا معي ايها السادة لنفحص ما العامل في ايجاد معاهد خيرية وملاجئ عظيمة . نر ان العامل الوحيد هو ذلك الشعور الخفي والروح الالهية الكامنة في صدور ذوي القلوب الحساسة

ادخلوا المستشفيات وافحصوا إسسها ومبانيها تروا ان بالعاطفة شيدت تلك الابنية العظيمة وان المال لم يكن الا الطين لاحكام ترصيف الحجارة والصاقها بعضها ببعض

المال مادة صلبة قاسية لا يضع مرهماً على ذراع جريح والذهب

الوهاج لا يبهج نفساً كئيبة فقدت آمالها بل نسيم العاطفة وشمس ابتساماتها يبعثان على قتل ميكروبات الآلام . وقد ينسيان الجائع خبزه والعطش ماءه

المال يكسو العاري ولكنه لا يمس قلبه . المال يشيد قصوراً ولكنه لا يزينها بدون العاطفة . قد يكون الاحسان باعثاً على انعاش النفس ولكنه ان لم يكن ابن العاطفة فلا تأثير له البتة

كثيرون من الناس يحسنون لا حباً بالاحسان ولا اطاعةً لشعور يدفعهم الى الاحسان بل تخلصاً من لجاجة سائل او حباً بالظهور ليقال عنهم انهم من ذوي المبرات

فهؤلاء سيقضى على احسانهم حال انتهاء المحسَن اليه من النفع من احسانهم . بعكس المحسن ذي الشعور الساعي الى الاحسان بدافع ميل شريف وعاطفة نبيلة اذ يحيي ويحيا باحسانه

. . . . . .

التقى رجل فقير بعابر طريق ومدّ يده اليه يلتمس احساناً . فتأثر عابر الطريق وبالصدفة لم يكن معه دراهم ولا بارة الفرد ولا ما يحسن به الى الفقير على انه لم ييأس بل تقدم الى الفقير وقال :

يا صاحب : صدقني انني لا املك شيئاً لاحسن به اليك . على انه لي قلب يشعر معك في حاجتك فهات يدك لاصافحك وتاكد انني اتشرف ان اقوم نحوك بخدمة بعد اليوم

ماذا تظنون يا سادتي كانت حالة ذلك الفقير ؟ أشكر ام عتاب ؟ تاكدوا انه صافح عابر الطريق وهو غير مصدق من شدة الفرح وشكره على احسانه الحقيقي بقوله :

هذه هي المرة الاولى التي اسمع فيها رجلاً مثلك يحيي ويصافح فقيراً مثلي . فوالله لو ملأت جيبي من الدنانير لما احسنت اليّ كاحسانك الان بمد يدك لمصافحتي لان الدنانير سريعاً تنفذ ولكنّ كلماتك هذه سترافقني الى الابدية

نعم يا سادتي . ان الادلة كثيرة على صدق معتقدي ان ليس بالمال او بالمادة يحيا الانسان بل بشعوره الحي نحو اخيه الانسان وعطفه على ابن جلدته

كلمة كيف حالك لا تشفي السقيم ولكن شعور قائليها ينشطه الى الشفاء العاجل

قد يقترن شاب بفتاة يظن الناس ان السعادة الاكيدة ستكون حليفتهما بالنظر لما اتصفا به من الجمال ولما اتفقا عليه من المشارب ولما فاقا به على اقرانهما من حسن الصفات وسمو المبادىء . فلا يمضي على زواجهما بضعة اشهر حتى نسمع ما لم يكن في الحسبان . نفور في العائلة ، اختلاف في المعاملة ، نحس يخيم فوق ذلك البيت ، ذبول في ذلك الروض ......

ولماذا ؟

لان العاطفة غير متبادلة في الزوجين . ولان الواحد يشعر بما ينكره

عليه الآخر . ولان القلبين لم يسيرا في سبيل واحد فكأنهما ما اتحدا حتى افترقا فساء فألهما ولات حين مناص

. . . .

قد يقترن زوجان قلبياً ويختلفان عقلياً وهذان يشعران بسعادة لا يعرفها من اقترنا عقلياً وتنافرا قلبياً

ولرب سائل يقول وكيف يكون ذلك اقول

الحب الحقيقي هو ابن العاطفة الشريفة والزواج بدون الحب الحقيقي لاحياة فيه . قد ينعم الزوجان بالاموال والعقارات وقد تبسم لهما مفروشات البيت ، وقد تنفحهما زهور الحدائق المحيطة ببيتهما اريجاً ذكياً وقد تنتظرهما السيارات على الباب ولكنّ قلبيهما ويا للاسف خاليان من السعادة ولا ابتسامة تلوح على ثغريهما بل ظلام التعس يحيق بهما لان لا عاطفة متبادلة بينهما فهما يجرعان كؤوس المر ولا دواء لهما ما دام داء التحجر مستحكماً في قلبيهما

وقد تسمع اثنين يختلفان مبدأ ومشرباً ويختصمان فتقول يا للاسف ما اشد تعسهما . على انك لا تنتهي من هذا الخاطر الا وترى ان تلك الغيمة انقشعت وعاد الاثنان الى ابتسامة رسمها على ثغريهما حبهما الاكيد ونقاء شعورهما الواحد نحو الآخر

نعم . نعم . لولا العاطفة لما وجد الاخلاص ولولا الاخلاص للبشرية لما وجدت الغيرة . ولولا الغيرة لمات الضعيف وقضى السقيم وهلك

الجاهل وسار العالم سريعاً الى الفناء الادبي . الفناء المادي . الفناء الابدي

. . . . . .

لولا العاطفة ما احترمنا شيخاً سلبته الايام كل جمال وقوة ولم تترك له الا بقية حياة . لولا العاطفة ما رمى بنفسه السليم الى البحر لينقذ غريقاً تتقاذفه قوة الامواج

لولا العاطفة ما نكرنا ذواتنا لنعطي للآخرين حقاً من الكرامة ولما نطقنا في سبيل تبرئة المتهمين وانقاذ المحكوم عليهم ظلماً

العاطفة لا تغش ولا تندم ولا تتطلب المجد بل تضحّي في سبيل الواجب

هي ابنة الاحزان وهي ثمرة الآلام لا ابنة الافراح وعشيقة المسرات

هي الراية الخالدة . . . . هي الراية التي بظلها يستظل من احب الخلود بافعاله وباحساناته وبخدماته

هي الراية الخافقة في سماء المجد الحقيقي تشع انوار نكران الذات والسعي وراء نفع الآخرين

هي الراية الخافقة في جو اللانهاية حيث تحلق النفوس المثمرة وحيث ترتاح النفوس الكبيرة

تلك الراية التي لا يخشى حاملها ولوج وادي ظلال الموت لان باشعتها ما يضيء سبيله

تلك هي الراية التي تفتح لحامليها ابواب الامجاد السماوية وتستدر

تهاليل الملائكة وابتسامات الخالق

تلك — ايه — تلك . اجل ! تلك هي الراية التي اضاءت زوايا هذا النادي الفسيح بسناء انوار احسانكم وظللت مجموعكم الموقر . تلك التي مثلت بخفوقها لقلوب السيدات القائمات بهذا العمل كيف يجب ان تخفق لعويل اليتامى وانتحاب العجيان وانات المرضى وتأوهات الجرحى وتألم الجياع

تلك التي علمت النفوس الصغيرة بارتفاعها كيف تسمو باحسانها وكيف تزهو برقة شعورها . تلك التي رأت من وراء البحار دموع البائسين فحنت وحنت لتظل من كان بينهم بلا مأوى وبلا ملجأ فكانت ليتيمهم ملجأ

تلك التي اذ دعا المسكين منتحباً

ايلي ! ! لما قد تركت البائس العاني

هاك الصليب وهاك المرّ اجرعه

وهاك من حبري يجري دمي القاني

وهاك شوك الضنى فوق الجبين بدا

وهاك غيث جرى من دمع اجفاني

قالت ... اتيت فقم واحمل سريرك ها

غوث جديد اتى بالبعث للفاني

لبيك لبيك لا تقنط فها امل

يضيء كالشمس في ديجور احزان

اليك احمل روحاً بثها صمد
لما تجسم فينا آدم الثاني
اذ قال من يصنع المعروف مع احد
من الصغار فبالمعروف كافاني
او من سقى كاس ماء بارد ولداً
باسمي اعد له مأوى باحضاني
لبيك يا من به تزدان مملكة
ما حلها ماكر او امها جان
لبيك يا فاقد الام الحنون فها
ام تعيضك عن ام واخوان
ام تمثل في ملجا اليتيم لنا
عطف الرؤوم على ان بائس عان
ام تمثل في ملجا اليتيم ندى
اكارم جددوا افضال عدنان
ام تمثل كل الكل من حسن
تمثل الله في حب واحسان

انا واخي

الخطاب الذي القي في الجمعية الخيرية السورية في سانطوس

عام ١٩٢٢

رئيس الجمعية الشرفي ورئيسها العامل وعمدتها الموقرة

ايها السادة

سلام — اجل سلام · سلام لمنبر كان البوق الحي الذي تشرفت لاول مرة في البرازيل بتحية اخوتي المهاجرين الاعزاء بواسطته

سلام لاخوة جمعتهم العاطفة النبيلة · عاطفة العطف على البائسين فألفوا جمعية خيرية سورية

وسلام لعزائم ثابتة وقلوب كبيرة واصلت السعي وداست الصعاب حتى رفعت اسس المجد وشادت عليها صرحاً فخيماً يحق للسوريين عموماً ان يفتخروا بوجوده · وها نحن نجتمع اليوم تحت سقفه لنزف اولاً تهانيء القلوب المخلصة لمن اسسوه وشيدوه وشدوا ازره ودشنوه · ولنحيي النهضة في سانطوس بهيئة الجمعية الخيرية السورية

سادتي :

انا واخي

قيل ان احد الملوك أرِقَ ذات ليلة ومنع النوم · فخطر له ان يتنكر ويطوف في احياء المدينـة لترويح النفس وابدال الضجر بالايناس

فاصطحب معه احد الوزراء المحنكين وسارا يجوبان الشوارع والازقة تحت جنح ذلك الظلام يستأنسان بالوحشة ويطربان بهدوء الليل وسكينته وبينما هما في منعطف الشارع ابصرا بنور ضئيل عن بعد فتتبعا آثاره علهما يعثران على جديد مما يستجمع الفكر ويروّح النفس

وصلا الى دكان صغيرة فاستلفت نظرهما ترتيبها ونظافتها · وهنالك وجدا شاباً في ربيع الحياة جلس الى منضدة ولديه عدة من الدفاتر والاوراق يقلب فيها وينسخ بعضها ويدوّن أخرى وهو منهمك في حساباته وكتاباته · واذ شعر بوصولهما ابتسم وحياهما وانتصب احتراماً على رجليه دون معرفة ماهيتهما وقدّم لهما كرسيين للجلوس فجلسا

اخذ الملك في الحديث فسأله قائلاً :

— أالى الان لم تزل ساهراً تكتب وتحسب واترابك نيام ينهلون ماء الكرى العذب ؟

— أجل ايها السيد ان عليّ واجباً لا يمكنني الرقاد قبل اتمامه

— أوَ لا يكفيك النهار وساعاته لاتمام ذلك الواجب

— ان عليّ واجبات اخرى اقوم بها في النهار فاودعها مع نور الشمس الى الغد وبعد مناولة العشاء آتي لاشغالي هنا

— وهل انت بهذا المقدار طماع لتنهب ايامك ولياليك وتسرق نفسك راحة قد تجني على شبابك بسلبك اياها في سبيل جمع الدراهم

— عفواً يا مولاي لست ممن يطمعون الى حشد الاموال · ولا

مطمع لي في الحياة الا ان اقوم بواجب دعيت اليه ومتى اتممته اسعى الى الراحة التي احصل عليها اذ ذاك بسعادة وقرار

— وما هو هذا الواجب الثقيل ؟

— لقد احرجتني ايها السيد بسؤالك هذا ولهذا قد اخرجتني عن دائرة التكتم التي كنت ضمنها فاستمع قصتي

ان والدي كان في شبابه متوظفاً في الحكومة وكان يربح اموالاً طائلة من مرتبه وغيره . على انه كان متلافاً يصرف بدون حساب ما يصل ليده وما ليس يصل اي انه كان يصرف مرتب شهره قبل دخول شهره . اخيراً سقط تحت حمل الديون وكان ذلك في شيخوخته وابتدأ شعوره بثقل حمل العائلة والواجب الابوي ومما زاد في الطين بلة اعفاؤه من وظيفته ونحن لم نزل دون سن الرجولية وقد حجز الدائنون على املاكنا وارزاقنا فاصبحنا في ضنك شديد بعد سعة العيش ورخائه

وكان صباح لا انساه ما حييت اذ نهض والدي من النوم والهمّ يضنك فؤاده والدمع يترقرق في عينيه وقد تبدلت سحنته واكفهر وجهه فجاء اليّ اولاً وانا بكره وقبلني بحرارة وقبّل اخي الاصغر وهو ينوي الذهاب بلا عودة وكنت انا في الثانية عشرة من عمري ففهمت مرامه وخطر لي انه يرغب الانتحار فوثبت من سريري ورميت بنفسي الى الارض على قدميه واخذت ابكي واتوسل اليه ان يقلع عن عزمه بالرحيل وانني واخي سنقوم بايفاء الدين وارجاع الحالة الى ما كانت عليه . بكى والدي وضحك مني بوقت واحد . وكانت علائم اليأس الشديد تزيد

سحنته شحوباً واضطراباً . ثم كرّر اخي نفس كلماتي وكان في العاشرة من عمره وقال :

نعم عد يا ابي وانا واخي سنفي الديون ونعيدك الى راحتك ومجدك

فبكى والدي اكثر واحزنه منظرنا واخترقت فؤاده دموعنا فاحجم عن الهرب ووقف جامداً كالصنم

ثم عدنا الى تكرار عبارتنا بفم واحد . وكل منا يقول — انا واخي — سنقوم بكل ذلك

يا له من منظر تاريخي عظيم جليل حين تغيرت هيأة ابي ولمعت عيناه ببريق الامل البعيد فاخذ يتفرس بكل منا طويلاً . ثم نادى بصوت تخنقه العبرات :

أيكون هذا ؟ أمن الممكن ان ارهن فلذتي كبدي لحياة تمتعت بها انا قبل اسعادهما فتفيان ديوني ويدي مغلولة عن العمل وليس بيدي حق العودة الى الشغل ؟

أمن الممكن بافمان لا بل صغيران يحتاجان الى العناية . أمن الممكن ان يقوما بهذا الحمل الثقيل الذي رميته انا عليهما بجهلي واسرافي ؟

— أجبته اذ ذاك انا وقد تنشطت اكثر فاكثر . سنقوم يا والدي باتحادنا انا واخي لا بقوة يدنا او بادراكات سننا

لقد اتفقت انا واخي ان نقوم بهذا العمل وان كان سننا تنقصه القوة ففي الاتحاد القوة

انا واخي — أجل ايها السيد . ومنذ ذلك الحين منذ تلك الدقيقة

كنا نتعلم نهاراً ونعمل ليلاً انا واخي . اذا حزنت يوماً اجد في ابتسامة اخي قوة فاعود الى نشاطي واذا تعب اخي يرى في اهتمامي به قوة فيثوب الى قوته

انا واخي . لقد مضى على هذا الحادث ٥ سنوات وانا واخي نعمل لم نضيع فرصة للعمل . وقد استرجعنا والحمـد لله املاكنا وارزاقنا من دائنينا ولم يبق الا القسم الاقل من الديون والتي سينتهي قريباً

— كان الملك يصغي وعلائم الاعجاب تلوح على محياه وقد بكى لحكاية الشاب مراراً . ثم سأله وابوك ماذا يعمل الآن ؟

— آه ايها السيد . ان الضربة كانت شديدة على حواسه فقد فقد رشده اذ كان يرانا مكبين على العمل وكان يتصور لصغر سننا وما آلت اليه حالتنا . على انه كان يتعزى بقيامنا بهذا الواجب ويفرح باتحادنا ولكن آلامه كانت اشد من آماله فهو الان في مستشفى المجانين لا يعي على شيء من العالم . ولكنني انا واخي آلينا على نفسينا ان نأخذ اليه يوماً ما البشرى بانهاء العمل فنقبله ونهنئه وان كان بذلك مشقات شديدة لنا

. . . .

هذه ايها السادة رواية احببت ان اضعها تمهيداً لكلامي اليوم في هذا المساء ما يلائم موضوع اجتماعنا

خلق الانسان ليكون اجتماعياً وبالفرد لا تقوم اعمال ما دام المجموع يحتاج الى قوة الفرد وقوة الفرد بكمالها هي ضعف ان لم تتحد بقوة

ألاخرين

انا واخي . كل منا ايها السادة يشعر بواجب يدعوه في هذا الوجود الذي وجدنا على مسرحه فمنا من يجيد التمثيل ويترك الاثر الحسن للخلف ومنا من تغالطه الاقدار او تعاكسه الانواء فيقع تحت حمله فلا يحسن القيام بواجبه . واذ ذاك يتطلب القوة فتخونه فيعمد الى التماسها من السوى وقد خدمته الليالي فملك عنان القوى ولا يتم التوازن الا بانضمام هذين الواقع الى الناهض فيعتاض الاول عما خسره بما في كنانته

انا واخي . البشر هم عائلة الله وروحه فيها تتطلب الوحدة لا التفريق وهذه الوحدة هي بنت الاتحاد والاتحاد لا يتم الا بالتفاهم والتفاهم يتطلب التساهل ونكران النفس وبدون هذه السلسلة لا ترتبط حلقات العائلة فتؤلف جسماً واحداً عاملاً تتمثل به القوة فينتج عنها النفع والفائدة

بلى ايها السادة

الجسم الانساني مركب من اعضاء مختلفة اهمية ، وضعاً وعملاً ولا غنى للجسم عن احدها البته

الساعة مركبة من اجزاء بوقوف اصغرها يبطل عملها

المثل الروسي يقول : لكل مخلوق كرسي في قاعة هذا الوجود وكل يملاء فراغاً قد لا يملاءه الآخر فان لم تتفق اصحاب الكراسي انفرط العقد

بلى انا واخي

ثقتي بنفسي جميلة ايها السادة واعتمادي على نفسي اجمل ولكن وجودي وحدي قد ينقض عملاً يسعى اليه اخي . وقد ينقض اخي عملاً

اسعى اليه بوحدته ولهذا فاتحادي مع اخي هو من دعائم حفظ كيان جسم المجموع الذي لا يبنى على دعامة واحدة

المثل العامي يقول : يد واحدة لا تصفق . واما انا فاقول : ان قائمتين لا تعملان زاوية وان جداراً واحداً لا يرفع بيتاً وان فرداً لا يبني عائلة وان بالاتحاد والتعاون تنشأ الهيئات العاملة وتتقدم الامم المحتاجة الى الهدوء والقرار

اخاك اخاك ان من لا اخاله

كساع الى الهيجا بدون سلاح

اخاك ليس ابن امك وابيك فقط . بل اخاك في العائلة . اخاك في الوطنية . اخاك في الجنسية . اخاك في البشرية كلها . انت يا اخي بحاجة الى اخيك وانا بحاجة الى ابن وطني . وامتي بحاجة الى كلينا لنضع كتفاً الى جانب كتف ونقف امام معاكسات قد توجدها الاقدار لنتغلب على الصعوبات ونوجد نفعاً للاخرين

بالاتحاد قد تقلب مملكة . وبالاتحاد قد نرفع الاثقال وبالتعاون قد نكسر نير الاستبداد وبالتعاون قد نطأ وعورة فنصل الى السعادة

لولا الاتحاد والعزائم لما انقلب عرش آل عثمان وتخلصت الرعايا من استبداد بائد . لولا التعاون لما هدم الباستيل ونالت الامة الافرنسية امانيها بنوال حريتها العظمى . لولا الاتحاد لما اسقطت تيجان طالما لمع في اعلاها دموع المظلومين ولما اندكت عروش شيدت على جماجم الابرياء . ولولا

الاتحاد لما قامت امة تتطلب المجد والشرف الاثيل

*****

عمل الفرد جميل ولكن الضعف يبدو فيه اغاب الاحيان وبدون عضد المجموع قد تتضعضع دعائم العمل

المعسكر في وجه العدو لا يقوم بالفرد بل يتعاون الفرد مع الفرد

انت بقوتك وانا بارادتي ، هو بماله وهي بدرايتها

اجل ! انا واخي . نحتاج ايها السادة كما قلت الى تضحية . كما اننا نحتاج الى معرفة ماهية كل منا وبمعرفتنا سوانا ونفسنا نخدم المجموع ونتناسى اساءة الآخرين حفظاً للمصلحة واضبط نظام الهيئات

.....

المحبة الصافية هي اساس الاعمال المتينة . اهتمام الاخ باخيه هو دعامة البنيان الحقيقي

أجل انا واخي

تحت جناح الظلام وفي سكون الليل كان يشاهد على سفح جبل صهيون رجلاً في مقتبل الشباب يحمل على كتفيه كيساً ملآناً من الحنطة ويسير به الى بيدر مقابل فيفرغه هناك ويعود به فارغاً الى بيدره وهو مشرق الجبين باسم المحيا

سعادة عظمى كانت تظلل مسيره وبهجة كبرى كانت تنير سبيله .

كان يحدث نفسه وهو سائر بهذه الكلمات :

اخي ذو عيال ويلزم له مصاريف اكثر مني وعليه فانا اجتهد ان انقل من بيدري الى بيدره تحت جنح هذا الظلام ما يزيد في غلته ويخفف عنه ثقل حمله

هذا ما كان يقوله الراجع الى بيدره وكان النسيم الجنوبي يحمل الى ساكني الجبال صدى كلمات اخرى صادرة من قلب كهل اشتعلت فيه نار التضحية والحب الاخوي الصادق فكان يردد ما معناه :

انا والحمد لله في سعة من العيش وعندي بيت واولاد . اما اخي الاصغر فهو شاب يعوزه مصاريف باهظة لنفقات الزواج وتأسيس عائلة فانا مسرور جداً انني قمت بواجب تدعوني اليه عواطفي نحوه اذ صرت حتى الآن ناقلاً عشرة احمال من الحنطة الى بيدره تحت جنح هذا الظلام دون ان يشعر احد بي

كان الصدى يردد كلمات الاخوين المخلصين اللذين اهتما ببعضهما اكثر من ذاتيهما . لكل منهما بيدر مخصب وغلال وفيرة وكل منهما افتكر نفس الفكر الذي افتكره اخوه وصار ينقل خلسة من بيدره الى بيدر اخيه كما كان لا ينقصه شيء البتة فيستغرب الامر ويقع في حيرة

استمرت الحالة بضع ليال واخيراً تلاقى الاخوان تحت شجرة على الطريق حاملين الغلال فاعترفا لبعضهما بالنيات النبيلة وتعانقا وباركتهما العناية من السماء وقدستهما الاجيال والعصور

******

الى اليوم تسمع في جنوبي سوريا في قلب ارض فلسطين اسم مدينة تاريخية عظيمة احترمها الاولون وحبّها المتأخرون · اورشليم مدينة العلي ومعناها الحرفي مدينة السلام · السلام الحقيقي المشاد على المحبة الصادقة والآخاء

تلك هي المدينة التي شيدت على يدري الاخوين وقامت اسمها على تفانيهما فكانت اثراً تاريخياً عظيماً ينطق بعظمة نفس من تطوى الليالي وذكر مجدهما لا يطوى

ايها السادة

كنا نقول ونرى ونزعم عن خبرة فيما مضى ان السوري عامل بمفرده وليس بمجموعه · والان اشكر الله اننا في هذا الاجتماع سندحض ما قلنا ورأينا وزعمنا عن خبرة فيما حضر · فان السوري قد ظهر اليوم في هذه الجمعية المثلى عامل في مفرده ومجموعه · وان نظر السوري في سانطوس كان متجهاً نحو الغاية النبيلة الى العمل الناضج

أسس البعض وتعبوا ثم تركوا مكانهم لسواهم فجاؤوا وشيدوا وتعبوا ثم تركوا مكانهم لآخرين فتمموا · ثم جاء الآخرون اصحاب الساعة الحادية عشرة وربحوا البركة كالاولين وكان الجميع عمالاً في حقل الانسانية ولسان كل منهم ينادي :

سعيت انا واخي

انا واخي اشتغلت

وسأشتغل انا واخي

تلك هي تعزية للروح يا اخوتي ما بعدها تعزية . المال يفنى والجاه يتحول والمسرات تزول والشباب ينصرف الى الشيخوخة والقوة الى الضعف . ولكن ثمرة الاحسان المادي والمعنوي – خدمة الآخرين اتحاد الافراد – اعطاء كل ذي حق حقه . السعي لخدمة السوى كل هذه المآتي خالدة وثمارها شهية الجنى ومن سعى اليها لا يندم وليس لرأس ماله خسران

مضى سبعة عشر عاماً على الجمعية الخيرية السورية وهي دائبة العمل . سائرة في طريقها وكانت الطريق كثيراً ما وعرة . سارت في حين كان السوري فيه حديث العهد في المهجر وكانت له كغرسة يعوزها الري ولا ينقصها العناية كانت واصبحت اليوم كشجرة تأوي اليها عصافير الانسانية المحتاجة الى ظل يقيها الحر والبرد

باحسان وعناية رئيسها الشرفي المحسان الطيب القلب البارون جوليو دي كونسيسون وبغيرة رئيسها الحالي العامل وتفاني واتحاد عمدتها الحالية وبنشاط مؤسسيها واعضائها الاولين المعتزلين الآن وباحسانات الجالية الكريمة سجّلت وتسجل آيات الفخر للخلف ، للقريب وللبعيد

فلتحيَ الجمعية الخيرية السورية وليحيَ القلب البرازيلي الشريف ولتحيَ الغيرة السورية الشماء

غريب . . . !

خطاب القي في الحفلة السنوية لجمعية ملجأ اليتيم للسيدات الحمصيات، في ٢٣ اذار سنة **١٩٢٤**

يها المحفل الموقر

بكم ومنكم وعليكم واليكم

بكم تهتز النهضة النسائية في المهجر . ومنكم تنبعث اشعة الاحسان لاحياء المدنف العاني

وعليكم تبني آمال الوطن باسعاد ابنائه

واليكم تهدى طيوب الشكران لزرعكم المعروف في حقـل الانسانية وقد قيل : زارع المعروف يحصد الشكر

سادتي :

خلوت بنفسي هنيهة وجلت في جو هذا العالم الواسع لارى مشهداً يجمع لي افكاري المشتتة فاستخلص منه موضوعاً اتشرف بالبحث معكم فيه هذا المساء .

تأملت ملياً ونظرت الى الارواح المتألمة السابحـة في فضاء هذا الوجود فرأيت فيها التاعس والعاني والمدنف الكئيب فسبرت غورهـا لارى ما هو اشد مرارة فيها من الآخر . واذ ذاك سمعت صوتاً ينادي « غريب » – غريب – فعدت الى رشدي وقلت الموضوع غريب . وهو

غريب في بابه وغريب في معناه وغريب في مبناه

قد تظنون ايها السادة انني اقصد بكلمة «غريب» من تغرَّب عن اهله ومن هجر داره وقطع البحار والجبال الى بلاد غير البلاد التي ارته النور · او ربما يخطر لكم انني اقصد بكلمة «غريب» ما هي مشتقة من الغرابة ومعناها امر غريب مدهش · فاقول لكم لا هـذا ولا ذاك · وقد تقولون اننا كلنا غرباء في دار هجرتنا فما لنا وهذا الموضوع العقيم ؟ فاقول تخطئون سادتي بظنكم هذا ايضاً · فالغريب الذي اعنيه هو بالامر الغريب وغريب هو في بيته · غريب في قومه · غريب في اخوته · غريب في عائلته · غريب في وطنه · غريب وهو في حضن من ولدته وغريب وهو تحت جناح ابيه يرد ماء بلدته ويستنشق نسيم قريته ويستظل براية بلاده وينام تحت سماء ابويه واجداده

* * *

قال احد الفلاسفة : بلوت الدهر وجرعت المرَّ فلم اشرب كاساً امرَّ من الفقر

وقال آخر :

قاسيت الاهوال وحملت الاثقال فلم اجد اثقل من الدَّين

وقال آخر :

كابدت الصعاب وذقت الاوصاب فلم اجد اشد عذاباً من مضض الآلام

اما في الغريب الذي نحن في صدده اليوم يجب ان يقال :

بلوت الفقر وابتليت بالسقم واثقل كاهلي بالديون وكلها قد تهون لقاء مرارة غربة غريب

. . . .

مرارة الغريب تتفطر لديها الافئدة · تتألم لاجلها الروح · تختنق امامها العاطفة

هي اشد هولاً من غيرها مما في الكون من الاهوال

قد يجد الغريب الذي ترك اهله من بحنانه وعنايته ينسيه غربته · اما هذا الغريب فلا من يعيضه عن خسارته ولا من ينسيه آلامه لان ليس لدائه من دواء

هو قريب بعيد · هو بعيد قريب · هو حاصل مجهول وهو موجود ناء · هو النقيضان ، هو الروح المضطربة والقلب المنقبض وهو الالم الكامن والنفس الحزينة · هو وقد يكون انا وانت وهو وهي

غريب : — وما اكثر الغرباء في المجتمع الانساني وفي الاسرة الواحدة

كيف ! ايكون الغريب حاضراً والقريب بعيداً ؟ ايكون النائي موجوداً والحاصل مجهولاً انها لاحجية ليعسر على الالباب فهمها ومعنى يحتاج الى مقدرة لفهم مغزاه

. . . . . .

اجل سادتي :

وجد هذا الكائن العظيم على سطح البسيطة صورة لمكنون اعظم

لا هيولي . وجد لابساً ثوب مادة قوامة تلك الشعلة السماوية والنفخة الالهية التي بها يحيا ومعها يسير ويرى ويرتعش ويهدأ ويفهم ويشعر

تلك هي سر التعارف والتقارب اذ الائتلاف الشفاهي والتعارف الوجهي هو محدود وقاصر وقد ينتهي بتغيير احدهما او فقد الآخر رونقه أما التعارف الروحي فلا حد له ولا تغيير . قد ننظر شخصاً لاول مرة ولاول وهلة تقع عيننا عليه اما اننا نشعر بارتياح الى التعرف اليه او بانقباض حالة كون ذلك الشخص لا معرفة قديمة لنا به وله بنا وقد يكون هو على غير ظننا . الا ان للروح نظرة وعاطفة لا يقوى على سبر غورها الجسد وقد يأتلف اثنان دون معاشرة او خبرة لمجرد سماع الواحد عن الآخر ما يطرب الروح ويحملها على الائتلاف والتعارف فتحدث القرابة الروحية وتتقوى العلاقات الولائية بمرور الايام فهما قريبان وان لم يتعرفا الى بعضهما

قد ينشأ الاخوان في مهد واحد يغتذيان من صدر ام واحدة وتحت عناية واحدة على انهما ينشآن في مبادئهما لكل منهما شعور يختلف عن الآخر فهما طرفا نقيض لا رابطة تربط الواحد بالآخر سوى صلة الاخوّة

نعم يا سادتي : اذا تأملنا في حالة الناس نرى ان ثلثي ابناء البشرية يتألمون تحت عناء مرارة الغربة تلك الغربة القاسية . الغربة الروحية التي تضعضع كيان الانسانية وتهدم اركان القومية

الاختلاف في المبادىء والخلل في التربية والاهمال في العائلة وعدم

التفاهم كلها اسباب تعمل على ابتعاد الارواح والتنافر الذي هو أس الفرقة

....

شاب في اول العمر مهذب اديب مقتصد . جني واجتهد فحصّل قسماً وافراً من المال وحسب سنة الطبيعة عمد الى بناء عائلة فأحبّ فتاة واختارها دون بنات قومها فزفت اليه وامتلكت قلبه وبيته وكل ما يملك من عقار ودينار واصبحت تتجلى على عرش اخلاصه وتفانيه وولائه الحقيقي

مضى شهر العسل وعقبه على الاثر شهر المرارة من دون ما مهل تبين المسكين ان الفتور بدأ في قلب من اخلص لها الحب وانها انما طمعت بماله لا بقلبه وانها ممن يفترزن بالذهب والالماس والقرط والاسوار ولا يبحثن عما في الصدور

اخذت تطلب منه كل يوم حلية وكل ساعة زياً فاخذ يقنعها ان هذا عرض لا يجلب السعادة ولا يرد تعساً او شقاء

افهمها ان عليه واجبات أخر لوالديه واسرته وان اشغاله لا تسمح له بالاسراف الى هذا الحد فما كان منها الا ان اعرضت عنه واخذت تظهر بمظهرها الحقيقي الذي هو حب المادة لا غير

اصبح الشاب العريس غريباً في بيته الجديد . غريباً في عاطفته وشعوره . غريباً في امواله . غريباً في تأملاته وهو في مهد سعادته . في ربيع احلامه الذهبية وفي صباح امانيه القصوى . قد اتحدا جسدياً واختلفا اخلاقياً وتغربا روحياً

دعوه يندب غربته ويبكي وجهته وتعالوا لنرى ما هنالك

تحت سقف الابهة وجدران العظمة ووراء ستائر المجد والفخامة سكنت عائلة غنية مؤلفة من والدين وخمسة اولاد . كل ما يحيط بالعائلة جميل وغني وعظيم

يزين محيّا الام ماء الجمال وقدّها الاعتدال ويزينها الكمال

ويحيط بالوالد اسباب الرفاهية والاسعاد

الخدم مطيعة تنتظر الاوامر . البيت صورة لفردوس البهاء يخيل الى الناظر ان ملائكة السعادة ترفرف فوق ذلك البيت . ولكنكم اصبروا رعاكم الله لنرى ما يحدث امامنا الآن

نهض الرجل من على الطاولة وتأبط عصاه وحمل برنيطته وخرج دون التفوه بكلمة . تبعه الاولاد ينادون « بابا » بحقك لا تطل السهرة عد سريعاً

اغلق الباب وراءه لا يلوي على شيء فردد صدى اغلاق الباب زفرة قوية حملها الهواء الحار الى كل جانب من جوانب البيت

نهضت الام التي هي مصدر تلك الزفرة واقتربت من الشباك وفي عينيها دمعة كخيط الفضة وشيعته بنظرها ثم تفرست في الجو البعيد ورفعت لحاظها الى السماء وفي نفسها مرارة

. . . .

اتركوا يا سادتي هذه المرأة ايضاً على النافذة تنتظر الى ما بعد منتصف الليل حتى واحياناً ما الى الصباح أوبة من ترك المائدة في بيتها

يجد من يعذره على تمسكه بالمبدأ

. . . .

غريب . نعم غريب . هو الرجل غير المتفاهم مع امرأته . غريبة هي المرأة الظليمة مع زوجها

غريب هو الشاب المهذّب مع الجهّال

وغريبة هي المرأة الراقية بين بنات جنسها اللاهيات بالعَرَض

غريبة هي اليد العاملة بين الايدي البطالة وغريب هو البخيل في حقل الانسانية المتطلبة الشعور والاحسان

الطفل الذي تهمله امه وتتركه لعناية الخادمة بينما هي لاهية عنه بالسينما والنزهات هو غريب في مهده وهو لا يعرف معنى الغربة

غريب هو الصوت الحي المنادي بالصراحة في القول والعمل بين قوم يحبون التكتم عن رياء وخبث ومداهنة

غريبة هي الكلمة « كلمة الحق » في محيط يبيع الضمائر بابتسامة غاشة وبمنفعة مادية

غريبة هي النفس العالية النبيلة التي لا تطيق الهوان بين قوم يرضخون لاحكام الجور حباً بالوظائف والالقاب وغريبة . أجل غريبة هي الامة التي تبيع وطنها امن السوى للاستعباد والاستعمار

. . . .

ايه بني قومي ! الالفة العائلية والتفاهم الشخصي والحب الزوجي كلها أسس للسعادة وللعمران فان لم يأتلف الزوجان ويعملا على نجاح العائلة

وذهب ليجلس وراء الطاولة الخضرا · ذهب وراء القمار ليضم دراهمه كلها مرة واحدة ويسرق اولاده سروراً وامرأته سعادة

انظروا اولاده كيف ناموا في قهر وقلق بدل ان يملأ قلوبهم الصغيرة الفرح والغبطة

فامهم المسكينة غريبة في بيتها غريبة في شعورها وغريبة في امانيها واولادها سينشأون كذلك غرباء في بيوتهم وفي اميالهم

....

لنترك هاتين الصورتين امام عيونكم يا سادتي الآن ولنرَ ما هنا

هنا شاب عصري صرف القسم الاوفر من سني شبابه وراء المحابر مسامراً الكتب ومعالجاً الاوراق وقد نضج عقله وثقل دماغه وصار خبيراً بغوامض العالم واسرار الوجود

هذا الشاب تضطره الحالة الى الاستخدام في محل عند قوم لا يهمهم سوى المادة فهم يرون علمه جهلاً وجهلهم علماً فهو بحكم العدالة غريب في تأملاته بعيد في امانيه وعن رغائب نفسه

رجل عامل في حقل الآداب يتمنى الخير للجميع ولا يتلوّن في اقواله · قلبه بين شفتيه ولا يرهب في الحق لومة لائم · يقف الى جانب كلمته ولا يهرب من نتائجها · شعاره المبدأ وخطته المحافظة على المبدأ وبذل الحياة في سبيل المبدأ والمحيط يتطلب منه الاعراض عن ذلك حباً بارضاء السوى · هو غريب في قومه وفي مسيره وغربته مُرّة لانه لا

كانا غريبين وبعيدين تفصلهما الاميال وتبعدهما الاهواء

قولوا لي يا سادتي ! أيجوز ان نسمي المرأة المخلصة في عاطفتها نحو زوجها والامينة في عهودهـا حاضرة في بيتها وحاصلة في حياتها وزوجها غير مخلص ولا وفيّ ؟

أليست هي غريبة حينما لا يسمح لها ان تبادله رأياً والا تتدخل في شؤون بيتها وفي شؤون زوجها ؟

قولوا رعاكم الله :

أيجوز ان نسمي الرجل قريباً وحاضراً وموجوداً ومالكاً وحاصلاً والمرأة تعمل ما تشاء في بيتها ؟

تزور من تشاء ومتى تشاء وتتصرف في بيتها كما تشاء وكما ترغب تحكم بامرها وتعمل على تنفيذ كلمتها وهو لا يقوى على ابداء رأيه اما لضعفه او لجبنه او لانه مظلوم وغير قادر على تهدئتها ؟

******

غريب هو . . . . . نعم غريب . وغريب هو كل من كان اسير السوى وان كان بين قومه وتحت سقف عائلته . كذلك سادتي : ان الوطن المظلم دار غربة لبنيه

والامة التي تتلاعب بها اهواء مدرائها وحكامها غريبة في ارضها فالشعوب التي ترضخ لاحكام الجور هي غريبة في تاريخها وفي ماهيتها وفي حياتها

نعم ، نعم ، ان السكوت عن الذل هو غربة للنفس التي هبطت من المحل الارفع السامي

....

سادتي :

اذا تفحصنا بتأمل وروية نرى اننا ابناء سوريا غرباء حيثما وجدنا وايان وجدنا

غرباء لاننا لا نريد ان نتفاهم . غرباء لاننا متفاوتو النزعات والمبادئ والمآرب . غربـاء لان لا جامعة قومية تجمعنا ولا وطنية تربطنا حتى ويا للاسف وقد اصبحنا نستنكف من التكلم بلغة اجدادنا . بلغتنا التي هي امنا والتي تنتمي اليها .

....

قضت الاقدار ان نهجر دارنـا التي كنا غرباء فيها ونهاجر الى دار الغربة التي اصبحنا فيها ابناء لا غرباء احلتنا على الرحب والسعة واعطتنا قدوة بالاتحاد والائتلاف وامثولة في حب الغريب والتساهل . وها صخورها في ايبرالغا تلقننا بصرختها الازلية دروساً في الاعتماد على النفس والوطنية بمناداتها :

✻ الاستقلال او الموت ✻

....

ناشدتكم الله ! هـل أستفدنا من تلك العظات ما يربطنا بالربط

القومية ؟

وهل جمعتنا جامعة المبادىء ؟

نجلس الى مائدة او يضمنا منتزه او نؤلف جمعية او نسعى لمشروع فهل نحن على اتفاق في كل من هذا ؟ اولسنا غرباء عن بعضنا في مشروعنا ومساعينا في كل من هذه ؟ اولسنا نتعارف الى بعضنا بالشفاه ونتقرب بالابتسامة الفاشلة ؟ وننكر على الآخر حقه مع معرفتنا بغرضيتنا نرتضي بما لا يرضي ضمائرنا — فهلا نحن غرباء يا بني قومي

نسمع صغارنا ينشدون الاناشيد الوطنية البرازيلية بحماس وشعور حي فنشعر معهم وتغلي فينا دماء الوطنية . ذلك لان روح المعلمة المخلصة بثت فيهم الشعور الوطني الحقيقي فتلقنوا منها الروح الصادقة واثروا بذلك علينا وتلاعبوا بعواطفنا بينما نحن نحتقر قوميتنا وجنسنا ولغتنا امامهم ونساعدهم على احتقارنا باحتقار لغة اجدادهم وعادات قومهم القومية

وبعد هذا ألسنا غرباء يا سادتي

أو لم يصبح صوتنا غريباً عن قلوب اولادنا وشعورنا ألم يصبح غريباً عن ارواحهم

. . . .

غنى الارض بخيراتها وغنى الامة بصغارها . الامـة تسعد برجال المستقبل وتهوي بقحط الرجال فما هو مصير الامة السورية ان اعرضنا نحن عن تكييف صغارنا لما يرضي الامة بالمبادىء غير المعوجة

. . . .

فربّ امـة مثرية فقيرة ورب ارض واسعة ضيقة · وربّ روضة يانعة لا عاطرة فيها

....

ايها المحفل الموقر

اسمحوا لي قبل ختام كلامي ان اذكركم بغريب ليس باقل هول ممـا تقدم ذكره ذلك الذي هدم البين خيمته وقوّض اركان بيته

ذاك الذي يغتذي بمرير العيش ويشرب الكاس طافحة بالدموع

ذلك المجرم البريء الذي لا يعرف من العالم سوى الشقاء · ذاـك الزهر اليانـع والغصن الرطيب مقطوعـاً من ارومتـه · ذاـك الغريب هو سر اجتماعنا وهو علة ابتساماتنا وسبب دموعنا · ذلك الغريب الذي غرّبته يد مطامع الانسان وقطعته ويلات الحروب عن اهله وحرمته اولديه وحنانهما هو · هو

✵ اليتيم ✵

هو الرافع لحاظه نحوكم يطلب اليكم ومنكم رحمة وعناية وحناناً فقدها بفقد والديه واراكم بعطفكم عليه تعطونه ما يسعد قلبه الصغير

هوذا ملائكة الرحمة من على عرش الانسانية تبارك غيرتكم وتغبط اعمالكم والتاريخ يدون لكم الحسنة في صفحة الثناء والاله يمنحكم المكافأة والخيرات ويسدل عليكم ستر ختامه الجميل

الأكواخ والقصور

الخطاب الذي القي في عاصمة الاتحاد « ريو دي جانيرو »
سنة ١٩٢٣ بدعوة من جاليتها الكريمة

ايها المحفل الموقر :

هنالك في سفح الجبل حيث ينبت الفل والقيصوم . وحيث تتمايل زنابق الحقل حاملة في شكلها النقاء وفي فمها الطيب

هنالك حيث احمرت وجنات الشقيق من خجلها تجاه جمال الورود النابتة حول العين البلورية الصافية الجارية كخيط الفضة

هنالك حيث يحرك نسمات الاشجار شجون الاطيار فتعمد الى تسبيح الباري بانغامها الرقيقة وحيث تأخذ الرياحين هزة الطرب فتهدي بتصفيقها الكائنات اريجها الذاكي

هنالك على الارض المغطاة بالبساط السندسي قامت ثلاثة اوتاد تركز في الارض الى ابعاد مختلفة وتشد الى بعضها في اعلاها بالياف نباتية بشكل هرم . تلك البناية يا سادتي هي « الكوخ » . هي في البرية المقفرة لا مؤنس حواليها سوى حفيف أوراق الاشجار وهدير المياه وصوت ناي الراعي الذي كثيراً ما يأوي الى تلك السكينة ليمرح بخرافه في بحبوحة الحرية

وهنا هنا في وسط المدينة وعلى هضاب العظمة شيدت دعائم قوية

شاهقة المبنى رشيقة المعنى جميلة المغنى · أسس قامت على المجد واحيطت بالرفعة والفخار وتجلت باردية البهاء والذوق الحديث · وجدر وقفت تحت حراسه الكبر والاعجاب تحمل على روءوسها رسوم الاولين وفوق صدورها تماثيل الجمال والفنون في الغابرين والمتخلفين عظمة في مجد في ذوق · تحيط بها الحدائق الغناء وتحرسها الاسوار الشامخة وتظللها النواعم الحريرية وتغطي ارضها الطنافس العجمية وفي زواياها تتجلى عرائس دقة صنع الانسان من موبيليا واوان · ومطرزات ومزركشات بقصب وذهب ووءلوء ومرجان · وعند البوابة مثلت السيارة الفخمة رهينة اشارة الآمرين فكان «قصراً» عظيماً بهجة قلب وقرة عين للناظرين

هنالك في الكوخ ألوحشة والسكينة — وهنا في القصر الانس والحركة

هنالك البساطة والسذاجة — وهنا الاتقان والعظمة

هنالك الفقر — وهنا الثراء

هنالك القناعة — وهنا الطمع

هنالك الهدوء — وهنا الضوضاء

هنالك ما صنعته يد العلي — وهنا ما صنعته يد الانسان

أنما يا سادتي لا الكوخ ولا القصر لا هذا ولا ذاك ما يسمونه بالبنيان بل ان موضوع مباحثتي مع لفيفكم الموقر هذا المساء هو الاكواخ والقصور · والاكواخ والقصور التي اعنيها ليست هي الصور التي تركتها الاجيال والتقاليد ولا التي بناها المعول وهدمه بها الفاس والقدوم ولا

التي ظللها النسيج وغطاها الحرير بل تلك التي اعني هي : البنيان العائلي . البنيان الذي كان ويكون وسيكون ممثلاً معنى الحياة الحقيقية والسعادة الحقيقية والهدوء الحقيقي

أجل يا سادتي :

الى الكوخ والى القصر يحتاج الانسان وعن الكوخ وعن القصور قد يستغني الانسان ولكن عن البنيان الذي نحن في صدده الآن لا يستغني العالم بل ان هدمت دعامة من ذلك البنيان الالهي تضعضعت اسس الكون وسار العالم سريعاً الى الدمار

. . . . . .

متساويان في النقاء . متساويان في البقاء . متساويان في النعمة . متساويان في الغبطة . متساويان في الثواب . متساويان في السعادة . كذا كانا منذ البدء قبل ان سقطا تلك السقطة الهائلة التي اضعفت ارادة الرجل واضاعت حقوق المرأة

سار الرجل تحت شريعة جديدة اعجب بها ، تاه على رفيقته الضعيفة « بسيطرته » وصار ينظر اليها نظر الطفل الى لعبته يستأنس بها ويحن اليها ويلهو بها . ثم يعود يعرض عنها وينقم عليها ، ثم يعود الى رشده يفتش عليها كمكملة لحياته التي هي ناقصة بدونها

اضاعت حقوقها لدى تلك السيطرة ولكنها لم تضعها ولم تضعفها امام الواجب الذي خلقت لاجله . خلقت لتكون نصف حجر زاوية في بنيان

العائلة وزوجها النصف الآخر · فهي واياه يكملان باتحادهما البنيان الاول · وهذا البنيان هو حجر زاوية الهيأة الاجتماعية التي تتألف من العائلات وهي مملكة الله على الارض

بلى :

لقد سارت الاجيال المظلمة شوطاً بعيداً في سيطرة الرجل على المرأة واهمال حقوقها اذ فهم الجاهلون كلمة يسود عليك من الاستبداد بها ولم يفقهوا انها مكملة الرجل والسيد يجب ان يكون كاملاً لا حاجة له للمكمل او للمعين · مع ان كلمة يسود عليك اي سيكون السيد في واجبه ومدير شؤون المرأة وليس الحاكم المطلق المستبد بها

استبد الرجل بالمرأة فاضاع هو نصفه كثيراً من سعادته ان لم اقل سعادته كلها · وسار فريداً في اوامره واجراآته معتزاً بقوته التي غالباً ما تضعف امام ذلك الضعف ضعف المرأة والذي هو قوة هائلة وسر عميق لم تدركه الاجيال ولا تدركه الى النهاية

سار مستبداً وصار ظالماً · ولا خفاكم ايها الكرام ان الظلم يولد البغضاء والبغضاء سوسة الاجتماع وعلة هدم البنيان فصارت العائلة تقليدياً آلة في يد مديرها الذي هو الرجل وكانت المرأة مكملة لارادته وقد وهنت منها القوى · على انها في العصور الخالية الجائرة كلها كانت درجة نبوغها لا تقف عند حد · فما كان يظلم في الواحدة يتألق في الاخرى وقد حفظ التاريخ امثلة عديدة ومثائل وفيرة عن نبوغ المرأة واشراق نور قوتها العقلية في حالك دجى الظلم والجور حتى في عصر كان الوأد اي دفن

الفتاة حية من دواعي الشرف وسنن العائلة

قدر للانسان النور ولو بعد حين · اتى فيلسوف النصرانية وانتصر للمرأة وعزز شأنها · واتى نبيّ الاسلام فابطل عادة الوأد الفظيعة وافرج عن المرأة فسار العالم على هذي الشرائع الجديدة وانتعشت المخلوقة الضعيفة فنهضت وسارت سيراً حثيثاً وجاءت العصور المنوّرة الحديثة تدريجاً تدريجاً فعرفت ماهية تلك القوة الكامنة وراء ستار تلك الرقة فازاحت عنها سجف الظلم وارت العالم ان السعادة الحقيقية والحياة الحقيقية والبنيان الحقيقي امور كلها لا تقوم الا على مساواة الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل ومعرفة كل منهما واجبه والمركز الذي وضعته الطبيعة فيه واوجدته العناية لاجله وهذه كلها دعامتها التفاهم وكيانها التفاهم

....

تعالوا معي ايها السادة لندخل ذلك القصر العظيم المشرقة منه انوار الغبطة · ادخلوا ولا تلتهوا بالعرض من نقوش واوان وزين ظاهرة · هلموا لنسبر غور العائلة ونرى باشعة رنتجن العقلية ما وراء الصدور من الغوامض والخفايا · انظروا الى جمود الرجل اللاهي عما حوله بكتاب صور ورسوم · دخان غليونه يمتزج بنفثات صدره فتوءلف غيمة كثيفة تغطي وجهه العابس · اتركوه وتعالوا لنرى ما يكون من امر زوجته هي في مخدعها مرتمية على الكرسي الهزاز تجتهد ان تخفف وطأة آلام نفسها بهز تلك الارجوحة التي اسندت اليها رأسها الثقيل · وجهها الشاحب ينمّ

عمـاني نفسها من المرارة · كل ما حولها جميل وفخيم وجد لاسعادها وهي بعيدة عن السعادة لان لا تفاهم بينها وبين من اختارته ملاكاً لحياتها · أولادها تركوا لعناية الخادمة التي اخذت تقص عليهم من احاديثها الملفقة البذيئة ما ينقش على صدورهم النقية صور الخرافات وآثار سوء التربية ·

قولوا لي بحياتكم هل يوجد بنيان في هذا القصر ؟

وهل توجد سعادة ؟

وادرسوا رعاكم الله مستقبل هؤلاء الاطفال التعساء ومصير هـذه العائلة واحكموا بالعدل أليس التفاهم هو أسّ البنيان ؟

أجل ان سوء التفاهم اصل التخاصم · ومتى حصل التفاهم حصلت السعادة · والسعادة يا سادتي لا تشرى بدراهم ولا تحصر في قصور ولا تدّخر في صناديق جواهر · والمال يملاء الجيوب ولكنه لا يملاء القلوب فربّ سعادة في فقر · وربَّ أنس في قفر · وربَّ وحشة في قصر وربّ جفاف في بحر · وربّ حياة في قبر

اسمعوا صوت موسيقى شجية والحان غبطة نقية يرددها الصدى في جوّ ذلك البيت حيث تسكن عائلة كبيرة موءلفة من والدين وتسعة اولاد · الابتسامة لا تفارق ثغر الوالد والام مشرقة الجبين زاهيـة المحيا والاولاد في غبطـة مسرور ووفاق تحسدهم عليهم الملائكة في سمائها · الابنة لطيفة مهذبة عديمة النظيرة والابن محتشم مهذب اديب أفلا يكون الاب فريداً في سعادته والام ملاكاً لتلك السعادة ؟

أليس السر في هذا هو التفاهم وحافظ كل من الوالدين على مركزه

ومراعاة شعور رفيقه ؟

قد يوجد الحب الحقيقي المتبادل بين الزوجين ولكنه بعدم التفاهم الاخلاقي يتناقص شيئاً فشيئاً ويسير الى الفتور فالاضمحلال . وبالعكس قد يحصل الزواج على عدم حب او على بغضه وبالتفاهم تتمكن علاقات الحب وقد يوجد بعد ذلك وتخرق اشعة السعادة جدران ذلك البناء

اسمعوا في تلك الزاوية صوت بكاء طفل ونحن في منتصف الليل . اقتربوا واطلوا من النافذة تروا الام المسكينة حاملة أياه على ذراعيها تحدو له وتخاطبه بارق الكلمات وهو يتقلب بين ذراعيها لان الحمى قد انهكت قواه واحرقت احشاءه . تارة تنظر الى الباب وطوراً الى النافذة علّ زوجها عاد من سهرته الطويلة

هذه التي يسمونها « ضعيفة » تتحمل هذا المضض وذلك القوي زوجها غارق في ملاهيه ومسراته . ينتقل من طاولة لعب الى مقهى الى ملهى وهي على ما ترون

بربكم أيوجد بنيان هنا ؟

وهل تشفع القصور الفخمة امام هذا الخلل والقصور ؟

مروا بربكم امام ذلك الكوخ الحقير وانظروا الى تلك القروية الساذجة جالسة الى العتبة وبيدها المغزل . تغزل تارة وتنظر اخرى الى بعيد كمن ترقب شبحاً

اخذت شمس السرور تشرق على محياها فطفحت اسارير وجهها بالفرح . وثبت من مكانها الى البرية لملاقاة زوجها العائد من الصيد

والشبكة على كتفه وقد انهكه التعب ، اخذت ترحب به بعبارات بسيطة كانت على قلبه ارق من النسيم ، تساءلا عن ماجريات نهارهما ، اخذت تنظف له رجليه ويديه وقد اعدت له الثياب النظيفة ووضعت العشاء على الطبق ، ثم سارت واياه يتنزهان حول كوخهما يتفقدان الدجاجات والطيور وملائكة السعادة ترفرف باجنحتها الذهبية حواليهما

....

أجل سادتي : رب حياة في موت وموت في حياة ....

أنطلب حياة جميلة ورغيدة وكلا الفريقين لاهٍ عن مراعاة عواطف رفيقه ؟

على كليهما تتألف العائلة وعلى كليهما يقوم البنيان ، أفيجوز ان نطلب من واحد فقط القيام بواجباته ونصفح عن الآخر ؟

أيجوز ان نطلب من المرأة القيام بواجباتها الثقيلة والرجل منصرف عنها تماماً الى تجارته وملاهيه ونزهاته ولا يخصص لها وقتاً لمبادلة الرأي معها بشأن صغارها او للتفكه بالاحاديث المنعشة قلبيهما ؟

أيجوز ان ننسب لها الضعف وهي الساهرة على خدمة عائلتها والمحافظة على عهودها المقدسة كما تتطلب الامانة الزوجية وزوجها لا يعود الى بيته الا في الصباح او الساعة الثالثة بعد نصف الليل ؟

أيجوز ان نتطلب اولاداً مهذبين ذوي مبادئ قويمة والرجل يحتقر أم اولاده امام اولاده ويلقبها بالقاب حقيرة ومهينة ويتلفظ هو نفسه امام

بنيه بالفاظ بذيئة وشتائم عديدة . وكذلك بالمقابلة كما نطلب من الرجل مراعاة جانب المرأة كذلك نطلب منها الكيل بالكيـل وبذلك تحفظ مكانتها في عائلتها

يعود الرجل من اشغاله مثقلاً بالافكار والاتعاب ويطرح ذلك الحمل أمام بوابة منزله حيث ينتظر من رفيقته الامينة ان تلاقيه بابتسامة تنعش قواه . واولاده ان يكونوا نظافي المظهر رقيقي المحضر فيدخـل فردوسه الارضي ونفسه تطفح بشراً وهناء

ولكن بربك يا سيدتي اذا وافى زوجك على تلك الحالة ولم يجدك في البيت لانشغالك عند الخياطة او بزيارة مع صديقتك ورأى الاولاد تحت رحمة الخادمة وكل شيء مقلوب النظام فماذا يكون تأثير تلك الحالة على نفسه ؟

قد تظنين ان الانصراف الى الزينة والبهرجة هو ما يؤثر على قلب الرجل وكثيراً ما تعرضين عن الجوهر في عائلتك وتلهين بالعرض حباً بذلك . فانا انكر عليك هذا واؤكد لك ان الرجل العاقـل المخلص لا يهمه المظهر السطحي بل تهمه نفسك واخلاقك واحاديثك المذبـة ولا يطلب منك الا الترتيب والنظافة والنظام في العائلة والاقتصاد في الحديث والزيارات والوقت والدرهم .

يتطلب اماً حنوناً لبنيه ورفيقة امينة لحياته وصورة نظيفة باسمـة هادئة

لا تحسبي انه يسر بترجل المرأة . للرجل العاقـل انفة لا يرغب

معها النزول عن استقلاله وتهون لديه الدماء في سبيل صون مركزه من احتلال الآخرين فهو ملك الرجولة ويبذل نفسه في سبيل الدفاع عن الاستقلال بها

وانت كذلك يا سيدتي · احتقري الرجل المتأنث فالتأنيث صفة لطيفة خصت بالمرأة ومتي رأيت زوجك يعبث بتلك الصفة ويجتهد ان يحتل عرش جمالها فاذهبي الى هضاب ايبرانفا وتعلمي من ذرات ترابها ما خلدته من الصرخة الازلية التي تردد صداها الاجيال · الاستقلال : —

﴿ الاستقلال او الموت ﴾

أجل سيدتي

غضي الطرف اولاً وثانيـاً عن اساءة زوجك فربمـا كانت غير مقصودة · وان كانت مقصودة فانظري اليه كانسان · على انه ان اصبحت الاساءة عادة فلك ان تستعملي الرقة والحكمة في استمالته لترك تلك الاساءة فرب تساهل ادّى الى كسب وربَ الى نهب وربّ الى عمار وربّ الى دمار

راجعي التاريخ تري ان ما من رجل عظيم وصل الى مجده الا وكانت الى جانبه امرأة تشجعه على العمل الحسن وتحوله بدرايتها عن السيء

قد يكون الرجل عنيداً مستبداً فاصبري حتى النهاية ولا تيأسي فالحجر الصلد تحوله المياه الى ملس وتخرق الصخر باستمرار جريها عليه

بطل الشرق ورجل البطولة مصطفى كمال باشا الذي طوطئت لصولته الاعناق والذي نقش له التاريخ ذكرى مجـد وصورة بسالة والذي اصبح الشرق يفاخر الغرب باجرا آته قد تغلبت عليه رقة (لطيفه هانم) بدون سلاح او حراب

بفصاحة لسانها وبرقة حديثها وسحر اسلوبها قادته وهو يقود الابطال الى كوخها الصغير فتمشى هنالك وغذّى النفس من قوت الاعجاب بتلك الآنسة فكأنها خلقت لاجله وكأنه خلق لاجلها واليوم هاكم تلك الغزالة في عرين الاسد قد هجرت كناسها حباً بناسها ودخلت المعسكر تقف الى جانب الجنود وتشجعهم بارق العبارات وتسير وزوجها جنباً الى جنب في خدمة العسكرية والامة

وكما ارجوك سيدتي اسمحي لي ان ارجو ثانيـة من مثال الله على الارض في القوة . من الرجـل ان يكون حليماً وطويل اناة وقد قالت الحكمة :

« البطيء الغضب خير من جبار ومالك روحه خير ممن يملك مدينة »

وليذكر حضرته ان بالرقة يسود على المرأة وليس بالعنف وان للتجارة وقتاً وللعائلة وقتاً مقدساً وللمرأة حقوقاً اقدس وللاولاد كذلك . وان الخشونة معهم والاعراض عنهم قد يوءدي الى نتيجة غير محمودة وان حفظ الكلمة معهم يوءثر كثيراً في سعادة العائلة لان رجالاً كثيرين لهم كلام — وليس لهم كلمة — . وان المرأة الحساسة تتطلب الشعور الرقيق ولا يغرها الذهب واللوءلوء . فرب قرط من ماس في اذن تعبة من الشتائم

وربّ عقد من مرجان في عنق قد احناه الذل · وربّ سوار غالٍ في معصم مغلول · والمال لا يبتاع سروراً في الحياة ولا يرد مقدوراً والعمر لا يصير اثنين · فساعة كدر في الحياة العائلية لا يقوم مقامها سنة سرور والابتسامة لا نشترى بالفضة واللجين :

كم من قصور تراها العين باذخـةً
تكنّ في جوفها سوساً وديدانـا
وكم رأينا شموس الطهر ساطعة
في جوّ كوخ بناه الناس قضبانـا
وكم هزيـل بلا سقمٍ ولا ألم
وكم سمـين يعاني السقم احيانـا
كم من فقير سعيد لا قميص له
وكم غني يود الموت احيانـا
فذاك يحيا طروبـاً في قناعته
وذا يقضي ليالي العمر حيرانـا
كم ثوب خز جميل راح يلبسه
من قد غنى بديل الخز اكفانا
كم ذات قصر تقضي الليل ناحبةً
وزوجها لعهود الحب ما صانا
وكم اليف وداد ما جنى خطأ
وزوجـه قد لمت عنه وما خانا

كم تحت جنح الدجى في القصر قد وقعت
جريمة صمّ عنها القصر آذانا
كم من خبايا ورا ستر الحرير وكم
هدّ التباغض ايواناً وديوانا
كم من سلاطين لم تـكمل مطامعهم
ذلوا وقد خسروا عرشاً وتيجانا
كم امة درست امجادهـا وقضت
آثارها وعزيز الشان قـد هانا
لا خير في لؤلؤ في الجيد منتظم
تجـاه عين تسح الدمـع مرجانا
كم لابس خاتم ياقوت يفضله
ساع ورا القوت يقضي الوقت فرحانا
والمال لا يشتري رغـداً ولا فرحاً
قد يشتري أجـلاً للمرء ما حانـا
قـد يفصل المال بـين الام وابنتها
ويحدث المال بين الاهـل عدوانـا
ليس الفقيرة من في ثوبها رقـع
بل تلك من خسرت في الزوج وجدانا
لا الكوخ يسعدنا لا القصر يؤنسنا
ان لم نجـد تحت راي الحب بنيانا

والعيش في الفة تحلو مناهله
والعمر عمران ان الفيت عمرانا
والمرء يسعد بالاصحاب ان وفرت
يلقى بها لبناء الحظ جدرانا
وهاكم ما ارى من حسن غيرتكم
ما قد تبدى لقولي اليوم برهانا
ارض البرازيل اعجاباً بالفتكم
اضحت تهنئ سوريا ولبنانا
اكرمتم العلم في شخصي الوضيع لذا
انوب عنه واهدي الكل شكرانا
وان بدا دون قصد في محاضرتي
ما ازعج السمع ارجو الجمع غفرانا

....

حجر الزاوية

هو اول خطاب القته صاحبة المجموعة في سان باولو عقب حلولها فيها ببضعة ايام بدعوة من جمعيتي الشبيبة الحمصية وحمص الفتاة والجالية الحمصية جمعاء (١)

......

ايها السادة

اسعد الله مساء السيدات ورجال الفضل اهل المكرمات
وحمى الله حمى من قد سقوا روضة العرفان ماء الحسنات
ورعى قوماً كراماً ارجعوا مجد سوريا لها بعد الممات
ولاصلاح وتهذيب سعوا ورقي برقي الفتيات
فلهم مني سلام عاطر ما شدا البلبل اشجى النغمات

أجل . لكم التحية والسلام تحية اكررها كلما فاح شذا مآثركم الغراء واعمالكم المجيدة

تحية افاخر بها لانها صدى مكارمكم وحسن مآتيكم . ولقد حييتكم

---

(١) قد كنا نود ان ننشره في اول المجموعة بعد خطاب « المرأة السورية » ولكن فقد الخطاب من الادارة حال دون رغبتنا واذ عثرنا عليه منشوراً في مجلة « المورد الصافي » العدد الاول من المجلد السادس عمدنا الى نشره فجاء متأخراً عن تاريخه فاقتضى التنبيه والاعتذار

بمثلها قبل اليوم

نعم · حييتكم قبل اليوم من وراء البحار من على شواطىء العاصي ومن تحت سماء سوريا الجميلة

حييتكم تحية ابنة وطنكم وربيبة تربتكم · واحييكم اليوم التحية نفسها مضيفة اليها تحية نزيلتكم وضيفتكم وشاكرة مساعيكم الجميلة وخطتكم المثلى

اجل · طالما تقت الى هذه التحية وطالمـا طرت الى هذا الموقف وحلمت احلاماً سعيدة وطالما خطبت على هذا المنبر وضربت على اوتار هذه القلوب الحية ولكن اليوم · اليوم حقيقـة لا خيال · اليوم قيض لي ان اجيئكم بثوب وطنيتي الابيض النقي وقد شددت ازر اخلاصي بمنطقة اطلسية جميلة فازدادت قوتي قوة

جئتكم لارى تلك الصورة العظمى التي رسمها لنا عالم الحريـة على صفحات الذكاء السوري والغيرة العربية

جئت وقد رأيت بكم السيدة الفاضلة والمرأة الصالحة والعامل النشيط والوطني الغيور وكل يسعى لارتقاء وطنه ولاحياء امته ولدفع يـد الضر عن الانسانية وابناء الآلام

فتاتان راقيتان من بنات مدينة في العالم الشرقي تحيط بها السهول الشاسعة ويخر امام قدميها نهر العاصي العظيم نشأتا وتهذبتا وترعرعتا على مبادىء حب تلك البقعة الجميلة · فتاتان يختلج في فؤاديهما خلاصة الشعور بالواجب نحو البشرية وتهتمان باحياء العلوم وقد مدتا ايديهما لازاحـة حجب الجهل عن ابناء تربتهما · فتاتان ظهرتا اليوم بمظهرهما الجميل في

سان باولو تحت سماء البرازيل لتساعدا القوم الساعين وراء الرقي ولتنشطا حمص بابنائها ناظرين اليها من وراء الاوقيانوس وفي قلبيهما خفوق وفي نفسهما آمال

فتاتان سمتا واستنجدتا باخوتهما في الوطنية لاحياء ليلة يبحث فيها عن داء الوطن ودوائه لهما اهل بالشكر والثناء الا وهما الجمعيتان جمعية الشبيبة وجمعية حمص الفتاة

ايها المحفل الموقر

بقعة جميلة في المشرق غرست فيها العناية بستاناً جميلاً تظلله الاشجار البهية وتمر فيه الانهار الصافية . هنالك كانت تسمع زقزقة العصافير وانشودة الاطيار وهنالك كانت تمرح البهم وتسرح الدبابات وتنام السباع مع الحملان والذئاب مع النعاج

تحت ظلال شجرة ظليلة الاغصان اضطجع انسان وقد استغرق في نومه وكانت علامات التعب وامارات الضجر بادية على محياه . وكانه في تلك الاحلام الغريبة كان يتطال الى الاستئناس والاجتماع عقيب الوحدة والوحشة

استيقظ من نومه العميق . فتح عينيه واخذ يلتفت الى هنا وهناك . تأمل قليلاً واذا بانسان آخر انحف بنية واجمل شكلاً . تفرَّس فيه ملياً فآنس فيه الرقة وبعامل غير مدرك تقدم اليه قليلاً فرأى في عينيه السحر الحلال وفي طرفه الخشوع والانكسار

رأى ما لا تراه العين الجسدية . رأى ما تراه الروح ويشعر به القلب

قوة غير محدودة في قالب رقيق وحنانًا عظيمًا طي ذلك الهيكل النحيل . هدوءاً وحلماً وخشوعاً وعظمة تحيط بذلك الشكل الجميل . فتأمل تأملاً ملياً والقلب منه في خفوق ثم قال بصوت يزينه الاحترام واللهفة :

أملاك ام بشر ؟ هذا الذي ارى ؟ من هذا المعبود اللطيف ؟ وما هذا التأثير الذي احدثته نظراته بي ؟ ما هذه العظمة وما هذه الرقة ؟

من انت ايتها القوة القصوى ؟ من انت ايتها الشمائر الحيية ؟ من انت ايتها الوداعة السماوية . ومالي ارى الحياة اصبحت لامعة وثمينة ؟ ولمَ أرى قوتي تتجدد بالنظر اليك وبالشعور بوجودك ؟

واذا بصوت هادىء بنغمة كانها الحان قيثارة سماوية انشدت ذلك اللحن البهي اذ قالت : انا انا وما ادراك من انا وما انا ؟ انا شفقة الله عليك انا معينتك في بلائك، وشريكتك في هنائك . انا قادمة لايناسك ولمحو غياهب اتعابك . انا سميرك في وحشتك ومعزيتك في مصيبتك . انا حاملة همومك ورفيقة رحلاتك . انا انا العاطفة الرقيقة المبردة لظى آلامك . انا انا نصفك الالطف ومرآتك الصقيلة جئتك لاكون « حجر الزاوية » في بنائك فتضعني حكمتك في المكان المعد لي وتحفظني قوتك من ايدي العواصف وصدمات الانواء

بسم لها اذ ذاك ومد يده القوية فامسك بيدها الرقيقة وتكاتفا فكانا حجر الزاوية لاول بناء ولاول عائلة على الارض حيث كانت حجر الزاوية للبشرية وللعالم

حجر الزاوية وما ادراكم ما هو حجر الزاوية . هو الدعامة الحافظة

كيان العمران · هو اليد القابضة على زمام القوة · هو نقطة الدائرة وهو الجمال بكليته والكمال بكليته هو الكل في كل البناء · بـه تقوم اسس البيت وعليه تتوقف حياته

....

في مدينة بوسطن من ولايـة ماساتشوستش من الولايات المتحدة مدينة جميلة فخيمة اقيمت فيها الابنية الجميلة والقصور الشاهقة كغيرها من تلك الولايات

في هذه المدينة عام ١٩٠٠ مسيحية اقام رجـل غني بناء عظيماً مؤلفاً من خمسة عشر طابقاً · وقد صرف على اتقانه المصاريف الباهظـة وزينه بالنقوش البديعة والرسوم البهية · وكان كل مار من هنالك يثني على ذوق مهندسيه وبراعة بنائيه

تمّ البناء وفرغت العملة من تزيينه واتقانه · وفي ليلة اليوم المعين لفتح غرفه للمستأجرين سمع بغتة في المدينة دوي وضوضاء · حلت مصيبة كبرى على شارع عظيم في مدينة بوسطن فدمرت بيوتاً واصبحت اطفال بلا والدين ووالدون بلا اولاد وكثيرون بلا مأوى · فجأة ذرفت الدموع واضطربت المدينة وذلك لان في تلك الليلة نفسها سقط ذلك البناء العظيم فاهلك من فيه وما حواليه وكان سقوطه عظيماً

اتى رجال الحكومة والخبيرون فحصوا عن اسباب تلك الضربـة القاضية وبعد البحث والتنقيب وجدوا الخلل عرفوا السبب وفقهوا الاساس

في هذا المصاب واذا هو هو :—

✵ حجر الزاوية ✵

حجر الزاوية الذي يجب ان يكون اصم ومتيناً كان مضغوطاً عليه ولينّاً . لم يحكم البناء وضعه ولم تصقله يد الخبرة فسقط وسقط به البيت وجرى بسقوطه ما جرى

حجر الزاوية ولست اقصد به المرأة كما توهم البعض بل اقصد به العائلة في الامة . والعائلة تتألف من المرأة والرجل وكلاهما حجر زاوية وكلاهما عامل في العائلة وكلاهما يد بانية وكلاهما اساس في عمرانها ودعامتها

على كل منهما يتوقف البنيان وعلى كليهما تقوم الجدران ولكل منهما خصائص تحتاج لمعاضدة الاخر فيهما الرقي وبهما السقوط وهما في عملهما هذا العظيم المقدس يوءلفان بناء واحداً اما جميلاً واما غير جميل اما عظيماً واما واهياً

على اتحادهما تتوقف اسباب رقي الامه ، وعلى وفاقهما يتوقف نجاح المملكة وعلى ائتلافهما يتوقف ائتلاف العالم

نعم هما حجر الزاوية في العائلة والعائلة حجر الزاوية في الامة واذ ها في هذا الموقف الخطير يجب ان نبحث عن اهليتهما لهذا البنيان وان نفحص حجر الزاوية قبل وضعه اساساً للبناء وعليه فلنبحث عن اخلاق كل منهما في مركزه هذا وملائمة احدهما الآخر وما هي الاسباب الآئلة

الى توحيدهما وحفظهما

اولاً رقي المرأة

قلت فى محاضرتي بالامس في مدينة سانطوس ان الفلسفة كل الفلسفة والتهذيب كل التهذيب والعلم كل العلم معرفة الانسان نفسه · واشرت بذلك الى وجوب تعليم الفتاة العلوم اللازمة لها لتعرف مركزها في السلسلة والواجب الذي خلقت لاجله · واليوم اقول ايضاً علموها اولاً من هي وما هي · علموها العظمة والفضيلة لتوجد رجال عظمة وفضيلة

علموها كيف تسير بعائلتها في الطريق المؤدية الى الميناء الهادي

علموها ان بيدها مفاتيح الهاوية ومفاتيح السماء

علموها الشجاعة والصبر لتقوى على احتمال مضض الايام وجور تقلبات الدهر

علموها ان بحكمتها تهدم السجون وبجهلها تبنيها · هذبوا نفسها التهذيب الحقيقي ليكون لها موءونة تتغلب بها على معاكسات البشر · ولتقتني جمالاً لروحها لان جمال الروح لا يفنى فاذا ذبلت نظارة الشباب وذهب ربيع جمالها الجسدي واتي خريفه يكون لديها من ذلك الجمال الذي لا خريف له ولا شتاء قوة تزينها في عين زوجها وذويها

كثيرات من الفتيات يسعين وراء العرض ويتركن الجوهر · كثيرات من الفتيات يفترن بالظواهر ويذهبن وراء الزينة الخارجية غير ناظرات الى ما يتطلبه الرجل الحقيقي في زواجه · الى الرصانة الحقيقية والدعة الى الرقة والانكسار الى سمو المدارك وسعة الصدر الى معرفة الرجل

قدره وماهيته في العالم ومنزلته. الى ما تقتضيه الحقوق الزوجية والامومة والعائلة

كثيرات من النساء يفتخرن بحلاهنّ وجواهرهنّ (وبالدوطة) المقدمة لرجالهنّ. واما انا فاقول لهنّ: لا فخر لكنّ بذلك لان ما تفتخرن به هو من حجارة قد تتحول الى فحم ولكن الفخر كل الفخر للمرأة التي تحمل الى زوجها في يوم زفافها حلى التعقل وجواهر الحكمة و (دوطة) الاخلاص والوفاء بقولها له:

اليك قلباً ان نفذت دماؤه لا ينفذ اخلاصه. اليك يداً تضمد جراحك وعيناً تسهر الليل على راحتك ونفساً تحوم حولك اين كنت وان انفصلت عن الجسد تبقى مرفرفة حول نفسك. اليك زوجة تشقى لاسعادك وتموت لتحييك وتمرض لتشفيك. واؤكد لكم ان من كانت هذه «دوطتها» لاهل بان تملك قلب الرجل وتكون شطراً له في بنيان العائلة

ثانياً: اهلية الرجل

عادة في الشرق يفرحون يوم زواج الصبي لانه اصبح رب عائلة. يفتحون له بيتاً جديداً ويفرشونه بابهى المفروشات واجمل الاواني ويهتمون بان يجدوا عروساً جميلة توافقه بقطع النظر عن اهلية ذلك العريس للولوج في هذا الطور او نوضع حجر الزاوية

ربما يستغرب البعض اذا قلت ان بالرجل ترتفع العائلة وبالرجل تسقط. ولرب سائل او معترض يقول لقد نوهت سابقاً باهمية المرأة

في العائلة وانها المالكة الى غير ذلك فما على الرجل اذن ليكون سبباً لسقوطها او ارتفاعها

اقول : اذا لم يكن الرجل اهلاً لهذا المركز اي ليس عارفاً منزلته في العائلة ولا منزلة امرأته

اذا كان جاهلاً قدر المرأة ولم يسمح لها بحقوقها او اذا كان متطرفاً في معاملتها او ضاغطاً عليها او مهملاً اياها فكيف نتوخى حياة عائلية في تلك العائلة ؟ ام كيف نطالب المرأة اذ ذاك بالقيام بواجباتها وواجب غيرها ؟ ام كيف نرجو ان تكون المرأة باسمة في بيتها لتحيي اولادها بتعاليمها الجميلة وقد يئست من الحياة اذ شريك حياتها غير عارف قلبها وليس اهلاً لمشاطرتها الحياة !

هو القوة وهي الرقة وكلاهما يحتاج الى الآخر

هو العظيم وهي الصبورة وكلاهما يتممان ابهى الاعمال

هي القلب وهو العقل وكلاهما لا يعيش بدون اتحاد احدهما بالآخر

تفاهما فخضع لهما الدهر . واختلفا فساء فألهما

ايها السادة

ان اعظم شريعة سنتها يد الطبيعة هي شريعة الزواج وابهى قانون خطته يد المحبة هو قانون العائلة . أترغبون ان تنظروا نتائج تلك الشريعة وذلك القانون ؟

انظروا العالم القوي باتحاده بالعالم الضعيف . والعالم اللطيف باتحاده

بالعالم الشجاع . هما عالمان عظيمان عالم الرجل وعالم المرأة . ويا لله ما اجمل نتائج الوفاق بين هذين العالمين . واذا احببتم ان تروا نتيجة جميلة فتعالوا معي . تعالوا قليلاً لنصغ ونسمع تلك الالحان الشجية ، اسمعوا واقتربوا واتبع آثار الصوت فنعرف مصدره

انظروا بربكم ذلك الكوخ الصغير فهنالك جلس اولاد يلعبون وينشدون اطرب النغمات . تعالوا ، تعالوا لنرى . ها الام جالسة بينهم تشتغل بابرتها وكل منهم طروب بما ينشده مع اخيه والام تساعدهم وتلقنهم اجمل المعاني والالحان

انتهى دور اللعب ونهضوا والام ايضاً لمناولة الطعام . كل مسرور وكل مطيع وهادىء وعلى محيا الام رسمت آيات القناعة وسمات القرار

انظروها كانها القائد بين الجنود او الشمس بين النجوم . اسمعوا احاديثها اللطيفة واقرأوا آيات تعاليمها السامية لهم . تأملوا في كوخها الصغير تروا الترتيب سائداً والهدوء بادياً وادركوا حالة عائلتها تروا الرقي بمعناه التام مرسوماً على تلك الجدران الحقيرة

ارفعوا الستار عن سر نجاح هذه العائلة فتروا استعداد الام واهلية الاب . انظروه آتياً من حقله يناديها باعذب الالقاب وينظر اليها نظرة المنشط والساهر على راحتها وسرورها

انظروه داخلاً الكوخ باسماً ومستقصياً الاخبار عن سلوك اولاده وطاعتهم لامهم ساعات تغيبه عنهم . اليكم معاملته لها امام اولادها واحترامه لمبادئها وتعزيزها امام الآخرين

اتركوه هنا وتعالوا الى ذلك القصر الشاهق . هنالك عائلة عظيمة مؤلفة من اب وام وخمسة اولاد . ها الولد الاكبر خرج غاضباً وشاتماً الحياة التي على هذا المنوال

اسمعوا رنات عميقة وزفرات حارة . وانظروا تلك المرأة الجالسة الى النافذة تذرف الدموع لان زوجها لم يحضر بعد الى تلك الساعة وقد انتصف الليل والاولاد بعضهم نام وبعضهم ضرب اخاه وشتمه وكلهم يئن من حالته ويشكو نفسه .

الاب غارق في ملاهيه وتارك امرأته واولاده لاحكام الزمان المرأة تعبت وغرست وهذبت ولكن القدوة الشريرة من الوالد هدمت كل ما بنته الام . سهرت الليالي وبكت واجتهدت ان تبني عائلة ولكن حجر الزاوية كان مكسوراً فلم يقم البناء . كثيرون من الرجال يتطلبون امرأة فاضلة متهذبة متعلمة وعليها يلقون التبعة كلها في النهوض بالعائلة .

أيتم لها هذا وهي في واد وزوجها في واد ؟

أم كيف تقدر على اظهار افكارها وهي سجينة ضغط زوجها واسيرة سلطته العمياء ؟

اروني امرأة باسمة فاريكم رجلها الحكيم . اروني زوجة ناجحة فاريكم زوجها العاقل الخبير — قد يحملها الى السعادة وقد يجرها الى الشقاء قد يحييها وقد يميتها . قد يقويها وقد يضعفها . فليتق الله الظالمون .

ثالثاً — التعارف الروحي والحب الزوجي الحقيقي

كثيراً ما يتولد الحب الزوجي من نظرة ولكن هذه النظرة لا يجب

ان تكون القاعدة التي نبني عليها آمال الزواج

التعارف الروحي هو ان يختبر كل رفيقه وتتحد الارواح قبل ان تتصافح الايدي . والحب المتبادل قبل الزواج اذا بني على هـذا التعارف كان هو الحافظ كيان العائلة

الحب الحقيقي يقف سداً في سبيل صدمات الاعداء

الحب الزوجي الحقيقي يقي العهود الزوجية المقدسة ويمحو كل دمعة من عين كليهما ويزيل كل غيمة من سماء السعادة العائلية . متى وجد هذا الحب وجد كل شيء في العائلة . متى وجـد هذا الحب لا لزوم لان ندرس ما هي الحياة وما هي العائلة وما هي السعادة . متى وجد هذا الحب لا تخف شيئاً . نم سعيداً فالمخاوف كلهن آمان

على هذه السنة على هذا الشرط يجب ان تبنى العائلة . ولكن اجيبوني بحقكم هل العائلات السورية كلها ماشية على هذه الخطة ؟

او هل يسعى الوالدون بالتفتيش عن وجود هذه الدعامة في بنيان عائلات اولادهم ام يكتفون بالنظر الى وجه العروس حين انتقائها لتكون شريكة لحياة ابنهم ؟

ربما يجيبني البعض ان الطريقة السورية في بنيان العائلة دون تعارف روحي هي كافية لنا وآمنة الخطر لان الحب غالباً ينتهي سريعاً وربما يغطي عيوباً كثيرة عن العروسين فقول :

الحب الذي تتطلبه العائلة للبنيان لا يزول البتة حتى وان انفصلت الروح عن المادة وطارت نفس احد الزوجين الى السماء تبقي مخلصة لزوجم

وتحن اليه ناظرة اليه من الاعالي

الحب الذي تنشده العائلة واعنيه الآن هو الحب المجرد للنفس فقط والميل لجوهر لا يتحول ولا يزول

الحب العائلي الذي يربط الروح بالروح هو خالد لان الروح خالدة فهو مجرد عن السبب لان بزوال السبب يزول المسبب عنه

الحب الزوجي هو حب غام يتولد عنه الميل النوعي ولا يتولد هو من الميل النوعي

واما ان الحب يستر كثيراً من العيوب فاولاً ان الرجل العاقل والمرأة العاقلة يتمكنان من المعاشرة واختلاف طرقهما ان يعرفا صفات احدهما . فاذا كان الحب اساسياً فانه لا يزول بعد الزواج بل يتقوى . وحينئذٍ لا يرى الرجل عيوب امرأته ولا هي ترى عيوبه بل ينظران الى سيئات بعضهما او هفوات بعضهما بعين الرضى

وعين الرضى عن كل عين كليلة

كما ان عين البغض تبدي المساويا

واذا انتقد احدهما الآخر فبدافع الحب ينتقده حرصاً عليه من انتقاد الآخرين

هذا ما اقصده بالتعارف الروحي والحب المقدس ليكون حجراً للزاوية في بناء العائلة والا فما هي العائلة والى اين تسير وهي مجردة من الرابطة المتينة التي تربط قوائمها الى اللانهاية ؟

كم من الويلات جرّ الى البشرية عدم معرفة هذا الحب المقدس ؟ وكم

من الاخطار حملنا الى القوم بتزويجنا فتاة الى شاب لا تعرفه ولا يعرفها الا لنظرة او لحديث ساعة ؟ وكم نجني على الامة بارسالنا لنطلب عروساً « بالبوسطة » دون ان نراها وان ترانا ؟

أجل !

وكم من الزفرات تصعدها صدور المتألمين من وجود شخصين متبايني المبادئ مختلفي المشارب تحت سقف واحد وتحت لواء واحد وتحت شروط واحدة وتحت عهود مقدسة واحدة

أهي تجارة يا قوم نربح بها اليوم ونخسر بها غداً

أهي رواية ينتهي تمثيلها بانتهاء المساء

اي وعمري رواية بل مأساة يمثلها الوالدون الذين يسلمون ابنتهم لشاب لا تعرفه او بالحري لا يعرفونه هم .

مأساة تهرق بها دماء الشرف العائلي وتداس الحقوق الزوجيه وتضحى الابنة والشاب ايضاً على مذابح الخصام وعدم الائتلاف

اي لعمري انها من ضحايا البشرية ان تعيش امرأة مع رجل لا حب اساسي في قلبه فيميل مع الهواء ويهمل ام اولاده ويتركها عرضة للانواء وكذلك العكس بالعكس

عفواً سادتي لقد اسهبت في الكلام ولكن هو الاخلاص يدفعني بعامل الواجب نحو الوطنية ان احيط باطراف الموضوع مع لفيفكم الكريم لتنهضوا بالعائلة والامه . لتوجدوا عائلات حقيقية في سوريا . ومن هي سوريا وما هي

هي انتم . انتم ايها السادة الذين عرفوا النور وسعوا اليه . هو انتم يا من تحيون الحفلات الادبية للبحث عن اسباب الرقي واستئصال الداء في الامة

نعم انتم حجر الزاوية في اصلاح الوطن والبلاد فمدوا ايديكم لانهاض الشعب فيها وانظروا من وراء البحار الى بلاد تحن اليكم وتذرف الدمع لبعادكم ولها ما لها من الآمال بكم .

فليحيَ الشعور الوطني ولتحيَ الافراد الساعية وراء النهوض بالامة وليحيَ الاتحاد والوفاق السوري ولتحيَ المرأة السائرة وراء خدمة بنات جنسها وليحيَ كل قلب يخلص نحو قريبه

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

قبلة يهوذا

الخطاب الذي القي في حفلة جمعية اليد البيضاء في ٦ ايار عام ١٩٢٤

يا من حنوتم على ضعف الفقير لكم   هذا الثناء ومن رب السما الاجر
ان اظلم الليل او طالت مرارته   على اليتيم ففي ايديكم الفجر

ايها المحفل الموقر !

تحت جنح الظلام · في منتصف الليل الهادئ · في رقود ضوضاء المدينة · في سكون حركة العمل · ابان ارتشاف الخلائق خمرة الكرى النقية · طلباً للراحة من اثقال واجبات الحياة · في تلك الساعة حمل الهواء كلمات متقطعة تمثل نفثة مصدور او بالحري حشرجة محتضر · بنغمة ترتعد لهولها قلوب رجال الشدة وتذوب امامها نفوس ذوي اليأس :

(يا للهول · يا للعظيمة · يا للغدر · يا للخيانة · واية خيانة اعظم من هذه ؟

أيموت البري وانا لا ازال حياً ؟

لماذا لم تغر بي ايها الجبل الذي منه رأيت دماء البار تسيل على الارض التي وطئتها اقدام اعداء رب الجنود ؟

لماذا لم تسقطي عليَّ يا جدران الهيكل الذي فيه ساومت على الغدر بالمحسن اليَّ »

ويلك يا نفسي · أبقبلة غاشة تسلمين من لا إثم له الى رجال

الاثم ؟

أبثلاثين من الفضة تبيعين كنز الطهارة روح النقاء ؟

باحبولة شيطانية وبطريقة مكرية قذفت بالحمل الآمن الى وجار الذئاب الخاطفة . وبقبلة جافة — تلك القبلة السامة التي رسمتها على جبين ينبوع الصدق والحنان — أولجت المسامير في جسد من ضمد جراح الجرحى

تلك القبلة — ايه — تلك — نعم — تلك هي التي تسد وثاقي الآن تقذف بك الى الفناء الابدي وبي الى اللعنة الخالدة

رباه — لا . لا . لا اقول رباه فقد بعته من اعدائه .....

النار — ويلاه — ما هذه النار التي يحرق شواظها احشاي

ايه . ايه : هي نار الندم . نار الاسف . لا . لا . هي نار الخجل بل هي نار الوجل . نار الضمير . . هي . هي نار عدالة الله . هي الجحيم ذاتها

الى الموت . الى الموت . الى اللعنة والخزي .....

عقب هذه الكلمات انحناء غصن من اغصان شجرة قائمة على مقربة من مكان الجلجثة وتدلي حبل شد الى طرفه عنق بائع معلمه بثلاثين من الفضة

.....

مرّ على تلك الليلة ما يقارب العشرين جيلاً ولا يزال حتى الليلة

ولن يزال حتى الابد يردد الهواء صدى تلك الكلمات كما لا تزال ولن تزال يد التاريخ ترسم لنا صورة تلك الليلة التي شقت حجاب الهيكل وفتحت القبور وخرقت آذان العالم بتلك الصرخة الخالدة : — ايلي ايلي — لما شبقتني ؟

...

اجل سادتي :

القبلة التي تحمل الى الطفل المريض دواء من حنان امه والى السجين المظلوم تعزية ورجاء من ابيه

القبلة التي تمثل ما في القلب من عاطفة وما في الروح من شغف وما في الصدر من شوق وما في النفس من اماني

القبلة التي هي خفيفة على الجسد قوية على الروح وهي صورة مجسمة لشعور خفي غير محسوس كانت الة حديدية لقتل البريء والمذنب

على انني لا اقصد في موضوعي الآن تلك القبلة الاسخريوطية وماهيتها او ذلك الغادر ونتيجة غدره . بل رغبت في البحث مع لفيفكم الكريم هذا المساء في موضوع ذي شأن قد اصبح ركناً من اركان حياة مجموعنا وان كان ويا للاسف مشاداً على الرمال لا على الصخور

اقول ركناً ولا اخشى لومة لائم لان هيئات العالم اصبحت تشيد ذلك الركن وتدعمه بمحبتها الخالصة وتفسح له المكان الاول في قلبها

ذلك الركن الذي تقوم عليه صداقتنا وتجارتنا وعبادتنا فهو الذي

يظهر الكياسة ويخفي القبح . يري الكرم ويغطي اللـؤم . يعلن الحب ويضمر الحقد والبغضاء . ويبدي الايمان ويكنُّ الكفر — فهو يرقـم على وجهه رمز الايناس والاخاء والمحبة وعلى بطانته صور العبوس والبغض والاذيـة

....

أحل سادتي

الحياة كناية عن بحر كبير تتلاطم فيه امواج الغايات والمطامـع تمخره سفن النفوس متسابقة الى الكسب والجاه وان شئتم فروض فيـه الورد والشوك والناضر واليابس . وتحت هشيمه تكمن الافاعي وتختبيء العقارب والمخلوق الاعظم يسير تحت ظلال بواسقه . فمن ظل وارف الى حر وقر . تارة تعثر قدمه بحجر وتارة تنشب شوكة فيها . وطوراً تنعشه نسمات الصباح واخرى سموم الارياح تخنقه

يسير وراء امانيه القصوى وجهته المجد وبغيته الفوز وامنيتهُ الربح أطمح نفسه الى غير الحاصل وتتوق الى غير المنظور فيسعى ويدأب ويكد ويجتهد ويدوس الصعاب وقد تسول له النفس اغتصاب لقمة جاره الآمن فيسطو عليه ويسلبه ما هو بحاجة اليه

يغدر باخيه وقريبه ونسيبه وجاره وينسى البر بامه والعناية بابيه

....

وعلى هذه الصورة ترى المخلوق الاعظم صغيراً والقوي ضعيفاً والنبيل

حقيراً لا بل ترى صورة الله الممثلة بطريقة مصغرة فيه قد تحولت الى صورة رجيم يقصيه عن السعادة ويشقيه

اذ ذاك تعوز القوي القوة والشريف الشرف والحنون الحنان

اذ ذاك تنحط النفوس العالية وتنطرح على اقدام الشراهة والطمع

القوة ؛ القوة . تعوزه القوة . والقوة لا تكون الا باتحاده مع اخيه الانسان وتفاهمه مع ابن جلدته تفاهماً لحمته الصدق وسداه الصراحة .

بقي ان هذا التعاضد يوحد الغاية وتوحيد الغاية يولد الاخلاص في العمل . والاخلاص في العمل يلد التفاني ونكران الذات او على الاقل حب المساواة الذي يمثل له ان حق جاره هو حقه . واذ ذاك يتم القول الذهبي :—

« حب قريبك كنفسك »

*****

فالرجل الذي يسعى لخير سواه كانه خيره هو كثير في خلقه وقليل بين خلقه

قد تقولون اننا كلنا نسعى لخير سوانا فاقول :—

نسعى تظاهراً واضطراراً

نسعى ان تكون مصلحتنا في نهاية المسعى

نسعى حين لا نرى لنا مفراً من السعي

نسعى ان نكون مطمئنين ان سعينا لا يرفع من نسعى لاجله الى

درجة تساويه بنا

نسعى — ولو وقف سعينا عند هذا الحد دون ان يتجاوزه الى اذية من نتظاهر بالسعي لاجله لكانت ارضنا صورة لما ذكر في سفر الرؤيا.

ولكن وا آسفاه نتظاهر برد لهفة الملهوف ونعده خيراً ونجاهد بألسنتنا امام ظالميه دفاعاً عنه بينا عيوننا تغمزهم اشارة الى انهم محقون في فعلهم وان كلامنا هذا هو اضطراري تضطرنا الظروف اليه.

اذ ذاك نستعير رواغ الثعلب وتلوّن الحرباء وقفز الدوري ونعومة الافعى لنتمكن من ارضاء الظالم والمظلوم والشاكي والمشكو في حين ان امنيتنا – في خراب كليهما بالمعول الذي اعددناه لهما وسترناه بقبلة يهوذا الغاشة

هنالك نظهر صورة الخداع المجسمة

هناك نرى اليد الواحدة تحمل الضماد وطيه الخنجر

هناك نرى الصنارة المغطاة بلحم الدجاج

هنالك نرى السم في الدسم. وهنالك نرى الرسم الخالد – رسم يهوذا يقبل معلمه

تلك القبلة التي رفضتها الجحيم واضطربت لاجلها الابواب الدهرية قد اصبحت اليوم حجر الزاوية

******

لنا في الطب مثال يمثل ما كنا فيه وما صرنا اليه تمثيلاً حقيقياً اذكره

بكم لزيادة الفائدة

كنا فيما سرّ نجرع الدواء وان مرّ اذ كانت الغاية من شربه الشفاء اما اليوم فنعتصم بمستحلب اللوز وان انقص من فائدة الخروع وبالبرشان وان ذهب بنفع الكينا

كذلك في احاديثنا ومعاملاتنا نمزج الحقائق بمستحلب الغش ونغطي غدرنا ببرشانة اللطف والابتسام

يطلب بعضهم رأينا في امرٍ ما فنهديه طريق الضلالة فيعثر و يقع فنضحك منه مع علمنا اننا كنا سبب سقوطه

يستشهدنا الآخر على امرٍ لا علم لنا به فنسايره ونقول نعم كلامك على رأسي هكذا كان

أيهوذا ؟ أيهوذا واحد في عشرين جيل من السيد المسيح الى اليوم نضطرب ونرتعد لذكر قبلته السامة واليوم كلنا يهوذا يعلم بان جلنا يهوذا وذو قبَل سامة

تدعو المرأة جارتها لزيارتها وتترحب بها وتقدم لها الشراب والحلوى وتستفهم عن صحتها وانشراح اولادهـا ونجاح زوجها ومتى خرجت من بيتها وجاءت غيرها تستل من تلك الورود التي فرشتها للاولى اشواكـاً تطعنها بها امام الثانية

يأتيكم رجل يشكو لكم معاملة رجـل آخر فترقون له وتظهرون استياءكم من تلك المعاملة فيلتقط من كلماتكم ما يتزلف به الى الرجـل الذي شكاه ويحملها اليه مبرهناً عن صداقته النزيهة

أفلا ترون في كل هذا ما هو اشرُّ من قبلة يهوذا ؟

نعم سادتي : قد عمت تلك القبلة مجموعنا ووصلت الى صغارنا كيف لا ونحن نعلمهم منذ نعومة اظافرهم الاستنجاد بتلك القبلة في حين الحاجة

فان اختصم الاخ الصغير مع اخته الصغيرة تسر الام الى الاول منهما وتقول له بصوت خافت لا تسمعه الاخت

تعال يا حبيبي . دعها وشأنها فهي قبيحة وانت جميلي الصغير وانت حبيبي وحدك ونهار غد سأشتري لك الحلوى في غيابها وتأكلها وحدك واذ يسكت تتركه وتأخذ الاخت الى جانب وتقول لها : سراً ان اردت لعبته فاضحكي عليه بطريقة لطيفة وعديه بأخرى احسن منها فيعطيك اياها

....

أو لا ترون قبلة يهوذا في شفتي الام التي تدّعي حب اولادها وفي الوقت ذاته تعطيهم اياها

القبلة الغاشة — ايه — القبلة الغاشة . .

كم من سرقة ؟ كم من قتيل ؟ كم من جريمة غطتها تلك القبلة

كم من قصور دكت . كم من عروش ثلث . كم من دماء اسالت : كم من جموع فلت . كم من تيجان تدحرجت بقوة تلك القبلة ؟

لولاها لما شبعت حيتان البوسفور من لحوم الشهداء

لولاها لما تمكن جمال باشا من شنق الابرياء

لولاها — ايه — لولاها لما خرق الرصاص اجساد افراد العائلة الامبراطورية ولما سحق عرش من قبل ان السلام والحرب بين شفتي قيصر روسيا

....

سادتي :

الحقيقة خشنة الملمس يوءلم ذا الدمّل ولكن في الاولى شفاء النفس وفي الثانية برء الجسد

حبذا ثوب من مسح على جسد سليم وبئس الثوب الحريري فوق جسم سقيم

سادتي :

صراحة جارحة طيها الاخلاص خير من مداهنة ناعمة ملءها الخداع فرب كلمة مرّة انتجت حلاوة . رب خشونة ولدت مرونة . قد يضطهد الصريح ولكن الى حين . وقد يحترم المخادع كذلك الى حين . انما في حين الاول الاحترام وفي حين الثاني الاحتقار

فغد الاول غد اعجاب وثقة وغد الثاني اشمئزاز وحذر

والشريف الوفي من اخلص فعلاً لا قولاً ودهراً لا حولاً

قد يظن البعض أن الاخلاص من خصائص المحبة فقط ولكنني اقول لهذا البعض ان الشريف يخلص ان احب ويخلص ان ابغض : لا يغدر بعدوه وراء ستار الصداقة بل يظهر له العداء ليمكنه من الاستعداد

والحذر وهذا ما اسميه العدو الشريف .

. . . .

كم من وفيّ خشن وكم من ماكر ناعم

كم من جميلة الطوية شنيعة المظهر وكم من بهية المظهر شنيعة السريرة

كم خادع ماكر لانت ملامسه　　　وبابتسامته يعطيك نور هدي

كم من وفيٍّ عدواً خلته ابداً　　　وكم عدو باثواب البلاء بدا

ما كل من يدّعي الاخلاص ذا ثقة　　　ولا عدوك من اقصاك وابتعدا

وكأني بابن الوردي بقوله :—

انا لا اختار تقبيل يدٍ　　　قطعها افضل من تلك القبل .

يعني كل متملق يتقرب من كراسي الحكام وارباب الجاه وذوي الثروة لقاء وظيفة يبيع بها وطنه . ولقاء مركز يستبد به بجاره . ولقاء دريهمات يغضب بها ربه

قبلة يهوذا — اتحتقرون قبلة غاشة لانها صدرت من شفتي صياد سمك حقير بينا نرى احفاد الامجاد وبنو الارومات الطيبة يجثون على ركبهم يقبلون ايدي الغاشمين والروساء الظلمة والحكام الجائرين

تلك القبلة التي سمع رنينها في قبو من اقبية الهيكل في الخفاء اصبحت اليوم متوّجة في هياكل عبدة الجاه والدينار . تحيط بها المباخر والقماقم ويحرق على مذبحها العود والند وتضمخ اقدامها بالطيوب .

قبلة يهوذا — هي جزيرة صغيرة في بحر الحياة بالنسبة الى قارات

قبلنا اليوم . أولم تروا رسومها على يد الكهان — كهان الاموال هاضمي حقوق المساكين المتلاعبين بارواح اليتامى ونفوس البائسين

قبلة يهوذا تنخر اليوم قدس اقداس الهيأة الاجتماعية لانها اصبحت فرداً من افراد العائلة التي هي اساس العمران

....

أولا ترون الزوج المخاتل يبسم لزوجته في البيت ويعرض عليها الدراهم لابتياع الحلى والثياب الفاخرة والقبعات يخدرها بها ثم يذهب ويقضي لياليه امام موائد القمار وفي زمرة الاشرار

....

وهلا شهدتم الزوجة المتسلحة بقبلة يهوذا تلبس ثوب العنكبوت وتقيد زوجها الغافل بخيوط اللين والتمليق والظرف واللطف لتتمكن من استنزاف ثمار كده وجده لارضاء نهم الموضات الحديثة والازياء الغريبة

....

على ان الله لم يحرم المجموع من رجال افاضل محقين مخلصين كما لم يحرم الجالية من رجال محسنين يسيرون في سبيل اغاثة الملهوف ويدفعون يد الضر عن بني الانسان

هم من يهتمون بالفقير والبائس ويعنون بامره

هم اعمدة هيكل الانسانية ومصابيح الفضيلة

هم من مدوا لجمعية اليد البيضاء يدهم البيضاء فنشطوها في مساعيها

الجليلة وساعدوها على احياء ليلتها هذه الزاهرة

فباسمها وباسم الفقير اشكركم واحييكم ملتمسة للجميع خير افتتاح في خير اختتام

خيوط الحياة

الخطاب القي في حفلة جمعية ملجأ اليتيم باسم مستشفى نور العفاف في حمص في ١٠ نيسان عام ١٩٢٧

ايها الحبر الجليل وسيداتي وسادتي

ابت عليَّ جمعية ملجأ اليتيم الموقرة واستاذي المحترم صاحب الكرسي الانزواء في خيمتي تحت ظـلال احزاني الكثيفة · فاحرجوني والنفس طافحة بالهموم والاسى حتى وقفت بين عاملين قويين حالة نفسي وكآبة قلبي وعامل الواجب وتلبية نداء اخواتي العزيزات واطاعة استاذي الموقر لبيت الطلب وماذا عساني ان احمل اليكم من الحان قيثارة روحي المكسورة · او بماذا ارضي البابكم النيرة وانا في ظلام وحشتي بين القلم والالم

لذلك جلت فيما حولي لاستمد كلمة ابعد فيها معكم عن صور كل ما هو محزن فدرست في جو المحيط قليلاً وفكرت في مسيرنا ومصيرنـا ووجودنا واضمحلالنا وذهابنا وايابنا وانضمامنا وتفريقنا ورقينا وتأخرنـا فلمعت امامي « خيوط الحياة » وظهرت دقيقـةً ذهبيـةً جميلة بهية فتمسكت باهدابها افكاري لتجعلها موضوعاً تحلل بعقده معكم هذا المساء

الخطير

سادتي :

من هو ذلك العظيم السائر على سطح البسيطة ناطقاً فخوراً ؟ يطأ الجبال بقدمه ويقطع البحار والفيافي بقوته ويسبح في جو اللانهاية بفكره ويتغلب على قوى العناصر بذكائه

من هو ذلك الخاضعة لسلطته الخلائق من حيوان ونبات . يستخدم الجماد لحياته والقوات لاياته ؟

انه تلك النسمة غير الهيولية .... انه تلك القوة الخالدة ...... انه ذلك الجبار المخضع الصعاب بارادته . انه شكل الله على الارض وآياته في ابداعه . انه يا سادة انا وانت وهو وهي ونحن وانتم وهم :

✻ هو الانسان ✻

الانسان يا سادة اعظم المخلوقات تسير به الدهور والعصور او يسير بها الى قمم الارتقاء فتراه عاملاً مجداً للتشبه بالالهة ولكسب ما هو غير مدرك . سنته تنازع البقاء . يطأ صغيراً ليغنم كبيراً . يستبد باخيه الضعيف ليصل الى ما تبقى من جثمان ضعفه الى قوة غير حاصلة ولا مدركة وكل ذلك سعياً وراء بقاء او حياة قد يكون انتهاؤها في اللحظة التي اخذ يسعى فيها لايجادها

مع ان البقاء كما اعني والحياة الحقيقية ليسا بالاجل الطويل ولا بالامد البعيد . بل البقاء قد يكون لقوم راحلين ولفئة راحت وتلاشت وقد يكون

الموت والفناء لاناس ينعمون بالاكل والملبس والرفاهية ومنازلهم خاوية وهي ملاءى وقاعاتهم ارماس

اجل !

ليست الحياة ما يعني الكلام وعلو الصوت والجدل والحركة والجلبة والضوضاء . فما هذه الا صور قد تكون لقوم تسيرهم القوى كالآت تسير بقوة الاستمرار والموت في طيات تراكيبها بينما من ناموا الى الابد وقد علت ثغورهم يبوسة المقابر احياء في قصور امجادهم وذكراهم اشعة تسطع في اروقة مفاخرهم

. . . .

انه لسر غريب يا سادة . وان خيوط الحياة العجيبة في كنهها وهل لم يتوفق الى حل معماها حتى اليوم اطباء يبحثون في ايجاد مصل لحفظ الحياة او لشراء تلك الخيوط باغلى الاثمان

خيوط الحياة . ما خيوط الحياة . وما ادراكم ما هي خيوط الحياة

هي ذلك السدى الدقيق المحوكة منه نسج البقاء

هي تلك القشعريرة التي تدب في العروق حين شهود مآسي السوى

هي ذلك السيل الفضي المتدفق من المحاجر حين سماع انات المتألمين وزفرات المصدورين

هو تلك النسمة الباردة المحركة القلب للجود والسخاء

هي تلك البسمة الحاملة في ثناياها اشعة الرجاء وبريق الامل

هي تلك الحرارة الوهاجة السائرة في سبيل انعاش اليبوسة الحاصلة في مفاصل الانسانية السائرة الى الفناء

هي ذلك الحارس الساهر على كيان العائلة

هي ذلك الجمال المتدفق في محيا الصبية

هي تلك النضارة الكاسية تجعدات الشيخوخة جمالاً ورواء واصفرار الوجه بهاء ونقاء

هي الغنى بدون درهم القوة بدون عضد والجمال دون شباب والصحة دون عافية

هي الالم اللذيذ الموجد في النفوس نبلاً وفي القلوب حياة وفي الرؤوس شهامة وفي الالسنة فصاحة

هي ولا ازيدكم علماً يا سادتي هي : —

✻ العواطف ✻

العواطف هي ذلك الشعور الذي اوجده الخالق لاحياء الانسان ولارتباط المخلوق بالخالق وتشبهه به

والعواطف التي نحن بصددها في بحثنا اليوم هي ما كانت روحية سامية تعمل على اسعاد العالم وتبعد عن الانانية وعن الامجاد الكاذبة والمطاحنات العايلة

....

اتركوا يا بني قومي مشاغلكم الوافرة وهلموا معي نحوم بافكارنا

حول جبال عظيمة الشأن

جبال لم يجسر على قطعها الا عظيمان : جبار فرنسا نابوليون والقائد الشرقي الفينيقي هنيبال

الجبال التي ترجف لهول عظمتها وبرودتها الاعصاب · جبال الالب التاريخية وحكموا نظاراتكم لنرى معاً ما في اعلى قممها من الغرائب

ان هناك ديراً عظيماً باسم القديس برنار يقيم فيه رهبان انكروا العالم واوهامه ليعترفوا بالحقيقة الخالدة ، ليكرسوا حياتهم لعمل اسمى من البسالة والبطولة في الحروب

ليسهروا على واجب اشد خطورة من السهر على الجريح المتدفقـة دماؤه

ليخاصوا نفوساً من اخطار هائـلة · وماذا تظنون يا سادة عمـل هؤلاء الرهبان ؟

انهم تحت هزيم الرعود وصليل البروق · انهم تحت قصف الصواعق يفتشون عن قوم ضلوا الطريق لينقذوهم من براثن الاخطار والمنية الباردة فيحملوهم الى ديرهم ويعنون بامرهم ويحمونهم من الصقيع وحقد الطبيعة

ما قولكم رعاكم الله بهؤلاء الرهبان ؟ انهم اغنياء الغنى الحقيقي بمعناه انهم احياء لا يموتون وان انقرضت اجسامهم وهدم ديرهم

انهـا خيوط الحياة يا سادتي · بـلى انها العواطف التي بها يسمو الانسان ويحيا ويعيش ويخلد

جردوا الانسان من تلك الخيوط الدقيقـة فيصبح آلة متحركة لا

جمال فيها ولا لذة ولا معنى

ولرب قائل يقول : ان صاحب العواطف على الغالب متألم وبالفكر يسعد الانسان ويرتقي قمة النجاح فاقول :

ان الفكر هو بمثابة القلم في انشاء الحياة والعاطفة مداده ومن لم تمل عليه عاطفته فقلمه قصبة مهزوزة وفكره جامد مشتت

......

ما رأيكم يا سادتي بالحسناء المتدفقة من محياها عذوبة الجمال اذا جردناها من عاطفتها فماذا تصبح ؟ انكم تجدونها في شبابيك مخازن « ماين ستورس » وفي محلات المودة الشهيرة اصناماً جامدة لا معنى فيها ولا حس . وتعالوا الى الزنجية الواقفة على المغسل تغسل الثياب وفؤادها طافح بالعواطف وقابلوا بين الاثنتين ؟ ؟ وقولوا من هي المحترمة لديكم . ومن الفضلى ؟

ربما تعترضون سادتي بقولكم ان لا انسان بلا عواطف البتة فاقول أجل :

ولكن ماهيتها تختلف في الغنى والنبل والرقة والتأثير والتضحية . وهي اذا بذلت في غير موضعها جرّت وبالاً . كبذل حنان الام مكان الشدة لدى تربية بنيها . وكالشفقة على المجرم وتبرئة الخاطئ حين يجب استعمال القسوة والعدالة

ومن جهة اخرى ترون سادتي ان الضغط على العواطف يميتها والاستمرار

على اهمالها والانصراف عنها يزيلانها تماماً

افتحوا الباب عن مشهد يصير كل يوم . انظروا الام مرتدية افخر الملابس ومتحلية بانواع الزينة للانسحاب من بيتها وطفلها يبكي

انظروه ماداً يديه الصغيرتين نحوهـا متوسلاً : اماه لا تذهبي . او خذيني معك . والام تقول للخادمة : ويلك خذيه . انصرفي من هنا بسرعة . ألم اقل لك انني ضربت موعداً لصديقتي فلانة ان نجتمع في بيت فلانة . أو لم تسمعي التلفون اليوم ينادبني لاتمام هذا الواجب ؟ لقد زارتني مراراً ولها عندي زيارات ولم ازرها فسأقضي هذا الواجب اليوم اذ غداً سأذهب الى محلات « مابن ستورس » لحضور معرض الازياء

اذهبي ، خذيه لا وقت له عندي . احمليـه واشتري له ما يريد فهو سيبكي قليلاً ويسكت

اغلق الباب بعنف واندفعت الام الى السيارة بسرعة البرق وطارت في سماء سرورها وعاد الطفل يبكي ويبكي ويبكي والخادمة تلاطفه وتلاعبه ولا فائدة في كل هذا

اسمعوا الخادمة تقول مخاطبة ذاتها : — يا للقسوة ! يا للخشونة ! ايه — يا قلب الام ! يا عواطفها المتحجرة . ما ذنب هذا الطفل الذي جلبته الى العالم ليذرف دموعاً نقية هي خلاصة قلبك الرقيق قبلاً والقاسي اليوم !

انني على ما ارى ان الاطفال اليوم يسلبون رقة عواطف امهاتهـم فيسحبون دموعهم ليتزينوا هم بها وتبقى الامهات خليات من تلك الزينة

ثم تلتفت الى الطفل وتقول :

انا ساعتني بك يا حبيبي الصغير لا لقاء دريهمات اقبضها من امك بل لقاء حنان وعاطفة رقيقة اطويها في صدري · ان امـك استأجرت خدمتي ولم تستأجر قلبي · فسأفتح كوى حناني لك ليعـلم الناس ان ليس كل قلب يستحق الامومة وان تحت استار ثياب الخدمـة والطبخ كنزاً يسجد امامه ما يحل فوق اثواب العظمة والمجد من الحلى والمجوهرات

ان العاطفة يا سادة هي التي ترفع الوضيع وتمجد العظيم · أجل بربكم ما الذي يدفع المثري الى تسجيل اسمه في اسفار الامجاد ؟

اليست اهتزازات تلك الخيوط الحساسة ؟

سلوا الام الساهرة حول المهد ليلات طويلات ما الذي يشدد عزائمها وينسيها شقاءهـا · وماذا الذي يدفعها الى اقتحام كل هذه الصعوبات اليست العاطفه ؟

سلوا الوالد العاني العامل في حقـله او المفكر في دقائق اموره ما هو المنشط قواك والسائر بك في سبيل الجد وعدم الملل اليست العاطفه ؟

سلوا كلاً من ذوي الواجبات · سلوا العالم العامل والصابر الساعي ما سبب نجاحك وما قوة جدك وما وجهة مسيرك ؟

أجل ! ان معاهد التهذيب وصروح الارشاد ان لم تعمل بها يد العاطفه لم ينبغ فيها طالب . ولا ابرزت للهيأة الاجتماعيه عضواً عاملاً فما هي اذ ذاك الا تجارة خاسرة سائرة بمن فيها الى الجهالة والشرود

تلك الخيوط التي توجـد في صدر النائي المـاً يسمونه الحنين الى

القومية والوطنية . فيمود وهو بين مهماته الوفيره الى حضن ذكرى آبائه وتربية اجداده ويسعى ويناضل ويقف امام وطنه وغاصبه وقفة المطالب بالحق والاخذ بالثأر . المدافع عن شرف اصله وعزيز قوميته وامته والباذل نفسه في سبيل انتشال بلاده من وهدة الدمار وهوة الخراب ولسان حاله ينشد : الوطن عزيز يا قومو

بلادي ليس لي ام سواها وان عطفت عليّ الاجنبيه

. . . .

اسمعوا يا سادتي صوت افراح وموسيقى . انها اصوات طرب في حفلة زفاف

العروسان تلائما خلقاً وخلقاً تعادلا جسماً واصلاً وفرت مواهبهما واتسعت ثروتهما ففرح الناس بهذه الملائمة وتم العرس بالهناء

بعد شهرين من تاريخ هذه الحفلة الجميلة تعالوا معي لنزور العروسين الكريمين

العريس في مكتبه يدخن سيكاراً كبيراً واوراقه مبعثرة على الطاولة تدل على ارتباك ظاهر وارتجاف يده . سحنته مستترة بغيمة من العوامل ابتساماته كاوراق الخريف لم يبق منها الا ما اصفر . وذبل وما كمن من الغيوم وراء حجاب الصدر فقد بدت آثاره على المحيا

اتركوه يبث زفراته في سيكارته ويبعث انفاسه في الفضاء مع دخانها وتعالوا لنرى العروس البهية امل امها الارملة وشعاع بهجتها

تعالوا ولا يهولنكم رؤيتها شاحبة الوجه

تعالوا لنسأل وسادتها المخملية ما تحمل من ثقل رأسها وآلام نفسها ماذا جرى وماذا صار بالعروسين الجميلين ؟ أوَ هذه هي الايام الجميلة التي كانا يحلمان بها ؟

او هذه زهور الحياة السعيدة التي أتيا يقطفانها باتحادهما ؟

هما شابان في اول العمر وربيع الحياة وعصر الجمال يرحبان بهما ويبسمان لهما فما السبب اذن ؟

اهذا هو وحيد ابيه وقرة عينه ووارث املاكه وغناه يحمل ثقلاً من الغموم وهو لم يزل في ثوب العرس ؟

لا تستغربوا ايها السادة . انهما عقدا شركة تجارية لا شركة حبية ونسيجها ليس من العواطف . انهما بنيا بيتهما الجديد على مطامع مادية دون ما عاطفة او حب او الفة او تفاهم

تزوجا كغيرهما ممن يظنون ان البيوت تبنى على الاوهام وان الاثاث الفاخر والحلى الثمينة مما يجلب السعادة ولو درت الناس لفقهوا ان كثيراً من عقود اللآلئ قد تتحول دموعاً وان نتيجة الماس ما شيء وان الحياة الحقيقية والسعادة الحقيقية هي ما كانت وما بنيت على شريف العواطف والحب النزيه ومعرفة كنه الواجب نحو العائلة والامومة

قولوا لي أوَ ليست المطامع اليوم معاول تهدم في كيان بنياننا !

أوَ ليست تلك المطامع سنن وقاعدة الزواج في عصرنا الحاضر

او لا ترون سادتي ان الاخطار تتهدد كيان امتنا وقوميتنا وعائلاتنا

من انصرافنا الى كل ما هو حجري لا شعور يحوم حوله ولا ألم !

أجيبوني سادتي : كم من الشبان اليوم وكم من الاوانس هم في سن الزواج وصاروا او كادوا يصبحون عوانس . والتقاليد العمياء والمطاليب الباهظة تقف سداً محكماً في وجه كل من الفريقين لتقتل الحياة الحقيقية لتمنع الامة من النمو والاخطار من الحصول .....

او لا تكفلون ايجاد عائلات سعيدة تبني أسسها على التفاهم والشعور الجميل والحب الحقيقي وكفى ؟

....

من ترون رعاكم الله أوفر غنى ! الحاشد امواله يبسم لدراريه الجامدة المخزونة اكداساً وينعم باسباب الراحة والترف وهو في ملاذه بعيد عن عواصف الالم التي توجد عواطف الحياة . ام تلك الفتاة الجاثية الى جانب السقيم تسهر عليه في بلائه تبذل من رقيق عواطفها ما ينعش فؤاده ومن قوة حنانها ما يضمد جراح آلامه !

سلوا الطبيب الرقيق الشعور والغني العواطف بما يشفي مرضاه برقته ام بجرعته

سلوه كيف تبقى روح المريض معلقة بابتسامة من ابتساماته . وكم تغلب بتلك العاطفة على ابادة آلام وتشجيع قوى واهية وقلوب مضطربة

لو نزعنا من الموسيقي عاطفته فبماذا يؤثر على سامعيه ابصوته ! كلا ان الصوت بدون عاطفة تهذبه هو كالريح الهوجاء تمر بالوجه الكئيب

فتزعجه ولا تنعشه

انظروا تلك البنايات المظيمة تلك الصروح العلمية تلك المعاهد الخيرية المشرقة فيها اشعة الهداية والفائحة فيها طيوب الاحسان انها لم تقم الا بتلك الخيوط ولا تستغربوا اذا اكدت لكم انها شيدت على العواطف ومن العواطف، وبالعواطف ليس الا .... تألم منشوءها فشعروا بواجب بنائها فاوجدوها . وهكذا ولد الشعور من الالم كما العاصفة تلد العاطفة

اوليست العاطفة هي صوت الخطيب المخلص الذي يسكب روحه في معانيه ليهدي الى سامعيه فائدة

انها قاعدة الايمان الحقيقي التي حملت ملك المجد على آلام الصليب لانقاذ آدم وذريته من اللعنة

انها صولجان الملك وبه يسود على الرعية فيملك ود الارقها

انها الرابط بين الحاكم والمحكوم ومن تجردت حكامه من العواطف اصبحت بلاده صحراء قاحلة تحرقها رمال الخشونة وتذيبها حرارة البربرية

وقولوا لبلاد خلت من تلك الخيوط ان حكومتها تنسج لشعبها بدلاً منها خيوط الشقاء وتصبح شريكة لمجرميها في جرمهم وخراب بلادهم

ألا . وقولوا لشاعر لا ينسج برد قصيدته من هذه الخيوط ان شعره اوزان لا شعور

وقولوا الطالب مجد انك لن تنال المنى دون ان تهتز عواطفك وتتألم لآلام من حولك . ولا تظنوا ان الافلاسات التجارية هي بالشيء المذكور

تجاه الافلاسات بالعواطف والحرمان من غناها الحقيقي

انها الامجاد السماوية وانها روح الله على الارض وهي هي كل شيء

يؤول الى البقاء والخلود

......

ايها المحفل الموقر !

تلك الخيوط الجميلة هي التي الفت هذا المجموع الجميل وكستنا ثوب شرف للتحدث معكم في هذا الموقف المهيب

هي التي املت على قلوبكم الكبيرة مناصرة مشروع مستشفى حمص .

ذلك العمل العظيم الذي نسجته يد المرأة بخيوط حياتها الذهبية ونهضت به رغماً من المعاكسات

فاليكم يا سادة تزف التحية جمعية نور العفاف النسائية الحمصية التي تفخر انها ثابرت وتثبت حتى النهاية فاتت بعمل تتمجد به المرأة العاملة

واسمحوا لي ان اشكركم بلسانها كعضو من اعضائها المؤسسات وان احيي بكم العاطفات النبيلات والقلب الكبير تاركة لكم في ختام خطابي كلمة تجول وراء مشاغلكم الكثيرة وفي جو تأملاتكم البهية وتسبح في بحار اتعابكم الا وهي :

نريد هيأة تزينها العواطف

نريد رابطة وطنية سورية تربطها خيوط الاخلاص

نريد جامعة قومية تحيكها خيوط الحياة الحقيقية

نريد رجالاً يسعون وراء الغنى الحقيقي غنى العاطفة النبيلة

نريد امهات صادقات العاطفة تربطهن بالعائلة ربط الحنان ويتحلين بالعاطفة لا بالجواهر

نريد ناشئة مهذبة تزينها عاطفة الحب النزيه الخالد

نريد آباء مخلصين مرتبطين بصغارهم وعائلاتهم ولا يفصل بينهم طاولات خضراء ولا ملاهي غشاشة

نريد وطنية حقيقية صادقة ووطنيين مخلصين لا ينامون على الضيم تهتز عواطفهم الوطنية كلما هب النسيم

نريد اقلاماً حرة نزيهة تسقيها عاطفة الآباء وتأبى ان تنشد : —

« لي لذة في ذلتي وخضوعي »

بلى اننا نريد امة حية ناهضة فخورة تنادي بصوت شاعرها الخالد

انـا اناس لا توسط بيننـا　　لنا الصدر دون العالمين او القبر

م

كلمة

من الهيئات الراقية العاملة على تنشيط فن الخطابة وتعزيز اللغة العربية

في دار المهجرة « جمعية الاوانس الخيرية »

وان سألني القارىء الكريم ما هي جمعية الاوانس الخيرية ومن هي

اجبته :

هي ضمة ازهار فاح شذا اعمالها في كل ناد

هي شعلة من نار الغيرة العربية

وهي شمس تخرق اشعتها اقبية التعس والشقاء فتهب المضنى شفاء

وانتعاشاً

هي نخبة من اوانس الجالية السورية في سان باولو المتهذبات الراقيات

والعاملات على رفع شأن الاسم السوري

وقد تشرفت صاحبة الكتاب والقت اكثر من مرة فيها خطباً

اعربت فيها عن اعجابها بخطة الجمعية المثلى وانتصارها للغة الاجداد

لذلك لم ترَ مندوحة في هذا الكتاب من تسجيل كلمة شكر للجمعية

المذكورة ازاء غيرها من الجمعيات العاملة

تنبيه

على الرغم من العناية الشديدة بهذا الكتاب وقعت اغلاط مطبعية وبعض اغلاط سها المنضد عن اصلاحها فوردت هكذا في بعض الاماكن «مصيبة كبرى» مكان «مصيبة كبيرة» . و «نعجة مقادة» مكان «مقودة» و «احرمه» مكان «حرمه» و «حقايق» مكان «حقائق» و «الافضل» مكان «الفضلى» . وغيرها مما لا يسهو عنه القارىء الفطن وبالاعتذار كفاية